١١٠٩

دار م. النحاس

حب

1109

HARLEQUIN

شيء من الحقيقة

شارلوت لامب

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

شيء من الحقيقة

شارلوت لامب

مقر سنتنال

حيث الألم والحب والعواطف المشبوبة.

أدركت جينا أن نيكولاس كاسبيان، سيد الصحافة، هو رجل مزعج وذلك منذ اللحظة التي تعرفت فيها إليه، فقد كان قاسياً خطراً رغم مظهره المهيب، كان رجلاً يعرف ما يريد.

وما كان يريده هو مجمع باربري وارف، مقر اكثر صحف لندن محافظة ووقاراً، كان يريد سنتنال وكان يريد جينا... المرأة التي وقف وفاؤها للسير جورج وصحيفته في طريقه.

ظن بييت فان ليدن مساعد كاسبيان، أن بإمكانه تغيير رأي جينا، ولكن بييت لم يحسب حساب تعرفه إلى هيزل مساعدة السير جورج، التي وقع في حبها.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

عالم باربري وارف

مؤسسة هارلكان وشارلوت لامب مؤلفة اكثر الكتب مبيعاً يرحبان بكم في عالم باربري وارف.

في هذه الرواية ستتعرف الى عالم الصحافة المثير والمتألق، سترقب العمل الداخلي في غرفة صيانة الاخبار، وتشارك في معرفة الاسرار التي تناقش خلف الابواب المغلقة وتسافر الى اكثر المدن اثارة في العالم.

تتعرف الى نيكولاس كاسبيان وجينا تيريل اللذين تكتشف قصة حبهما خلال هذه السلسلة. وستتعرف في الاعداد اللاحقة الى بقية الابطال والى قصصهم العاطفية. لا تدع هذه المغامرات الشاعرية تفوتك والتي هي اكثر الروايات العاطفية شعبية في العالم.

شارلوت لامب

شارلوت لامب هي إحدى أكثر كتّاب مؤسسة هارلكان شعبية كما أن رواياتها هي أكثر الكتب رواجاً، إن مهنتها غير العادية، وقد صدر لها حتى الآن أكثر من مئة رواية، قد ساهمت في نشر الشاعرية في انحاء العالم.

ولدت في شرق لندن حيث أمضت طفولتها متنقلة بين بيوت اقاربها هرباً من الغارات الجوية اثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد أن عملت سكرتيرة في الإذاعة البريطانية، تزوجت مراسلاً سياسياً يعمل في جريدة التايمس، وهي تقول انها ابتدأت الكتابة بناء على اقتراح منه. «لأنه عمل يمكنني أن أقوم به دون الإضطرار إلى ترك اولادنا الخمسة.» وهي تعيش الآن مع أسرتها في إحدى الجزر البريطانية جزيرة الانسان وهو مكان رائع لمن يكتب القصص الشاعرية مثلها.

١١٠٩ عبير

Abir 1109

شيء من الحقيقة

شارلوت لامب

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كان نهاراً شتائياً ماطراً كان فيه الضباب يغمر منطقة باربري وارف، فتملك جينا القلق على الرجل العجوز، أخذت تراقبه طوال الوقت بعينيها الخضراوين المائلتين... كيف يسير متكئاً على عصاه بخطواته محني الكتفين، كان اكبر سناً من أن يتمشى في موقع بناء مكشوف لتيارات الهواء، وذلك في يوم كهذا.

ولكنه في صباح كل اثنين وقبل ان ينطلق إلى مكان عمله في شارع الصحافة فليت ستريت، كان يصر على الوقوف هنا ليتحدث إلى المهندس، وعمال الأدوات الصحية والكهربائيين والبنائين والمبلطين، حتى ان متخلفات البناء من حجارة وحطام مختلف، ما زالت مكومة تحت السلالم والسقالات.

لو انها قالت له أي شيء، لضايقه ذلك، طبعاً، فهو يكره أن يعترف بأنه لم يعد شاباً، وكانت هي نفسها لا تكاد تصدق ذلك. فقد كان يبدو شاباً حين تعرفت إليه، وذلك منذ ثماني سنوات فقط... كان السير جورج تيريل، وهو يقترب من السبعين، عملاقاً عريض الكتفين، مستقيم الجسم، ذا طاقة يحسده عليها الشبان. ولكنه أصبح الآن هيكلاً لذلك الرجل القوي الذي كانه مرة، وقد حدث هذا ما بين ليلة وضحاها، منذ اليوم الذي مات فيه حفيده، شاب شعره وتهالك جسمه. لقد فارقته حيوية الربيع في كيانه نهائيا.

تنهدت بينما كانت الريح تتلاعب بشعرها الطويل البني الممزوج بالإحمرار. خمس سنوات... هل مر حقاً ذلك الوقت الطويل على صوت جايمس؟ كان هذا يبدو وكأنه حدث أمس فقط رغم أنها حين تنظر في المرآة، كانت ترى مقدار ما غيّرها الزمن. هي أيضاً عندما مات جايمس كانت في العشرين من عمرها، ولكنها الآن تشعر بنفسها على أبواب الشيخوخة، وطالما تمنت لو كانت حياتها انتهت، هي أيضاً في ذلك اليوم، اظلمت عيناها الخضراوان. فقد كانت تشعر أحياناً أن حياتها انتهت فعلاً.

قال السير جورج وهو يدنو منها: «إنك ترتجفين، يا جينا، لماذا لم تنتظري في السيارة كأي فتاة عاقلة؟ ما كان لك ان تقفي في هذه الأنحاء في مثل هذا الجو.»

فقالت باسمة: «ولا انت.»

فبادلها الابتسام قائلاً: «لا تزعجيني بالنصائح مرة أخرى.»

فقالت: «أزعجك؟ أنا؟»

فضحك قائلاً: «انني بأحسن حال واستطيع قضاء ساعة في باربري وارف دون أن انهار، انكم انتم الشباب، الذين لا تستطيعون الاحتمال...» وإذا به يسكت فجأة ويستقيم جسمه وهو يحدق إلى مدخل البناء: «ما الذي يفعله ذلك الرجل هنا؟»

اجفلت جينا للهجته الغاضبة، وعندما نظرت حولها رأت ثلاثة رجال يسيرون متوجهين نحوهما، عرفت واحداً منهم، كان رجلاً نحيف البنية بادي الأناقة ذا شعر بني اللون ووجه بشوش، لم تكن تحبه كثيراً.. فقد كان أدبه المبالغ

فيه لا ينبيء عن صدق... ولكنه كان شريكاً في المصرف التجاري الذي يتولى شؤون السير جورج، كما أن الرجل العجوز كان دوماً على مودة معه... فلماذا كل هذا الإستياء لزيارة السيد مارك هاكسلي لباربري وارف؟

سألته مترددة: «هل قام السيد هاكسلي بما يزعجك يا جدي؟»

أجاب السير جورج ببطء: «مارك؟ آه... نعم... ان مارك معه. لم ألحظه قبل الآن، والآن ماذا يعني هذا؟ وما الذي يهدف مارك إليه بإحضاره إلى هنا من وراء ظهري؟»

تملكت جينا الحيرة، انه إذن لم يكن يعني مارك. فسألته: «من هو الذي تعنيه؟»

تمتم السير جورج: «أعني نيكولاس كاسبيان.» اتسعت عينا جينا، انها تعرف ذلك الاسم رغم انها لم تره من قبل أو تتعرف إليه.

ابتدأت تقول: «أليس هو...؟»

فقاطعها بقوله: «انه اخطبوط، هذه هي حقيقته، انه يملك صحفاً في معظم البلاد الأوروبية ما عدا هنا... ان أذرعته تزداد امتداداً كل سنة، وسيصبح عالمياً قبل نهاية القرن.»

ابتسمت وهي تعجب لاستياء السير جورج: «يبدو أن هذا مخيف تماماً.»

اجابها: «صدقيني، انه كذلك، انه يريد ان يبدأ هنا، انه يريد السيطرة على صحيفتنا سنتنال.»

اتسعت عينا جينا وهي تتنفس بعنف: «ولكن... ولكنه لن يتمكن من ذلك أبداً... أليس كذلك؟ أعني انك مازلت تملك غالبية الأسهم كما أظن.»

قبل ان يجيب السير جورج، كان الثلاثة وصلوا إليهما، ومارك هاكسلي يقول بلطف: «صباح الخير، يا سير جورج.» كان يبتسم ولكن الرجل العجوز نظر إليه حانقاً: «ماذا تفعل هنا؟»

لم تتغير ابتسامة مارك كما أنه لم يحاول الإجابة على السؤال، بل قال: «اظنك تعرف السيد كاسبيان، يا سير جورج، ومساعده بييت فان ليدن؟»

أجاب السير جورج عابساً: «اعرفهما...»

فقال مارك موجهاً سؤاله إلى جينا: «لكنني لا اظنك تعرفينهما، يا جينا؟ أقدم اليك السيد نيكولاس كاسبيان... اقدم اليك جينا تيريل، يا نيكولاس.»

لم يفسر قرابتها للسير جورج، ما جعلها تشتبه في انهم سبق وتحدثوا بذلك.

مد اليها يده مصافحاً، فمدت يدها بحركة آلية فشعرت بأصابعه الحازمة المسيطرة تحتويها، ما جعلها ترفع عينيها اليه مجفلة، رأت السبب الذي جعل العجوز يصفه بالأخطبوط، وتملكها شعور غير مريح بأنها قد لا تتمكن من استعادة يدها من يده.

«السيدة تيريل؟» قال ذلك بصوت عميق وقد ضاقت عيناه الرماديتان الصارمتان وهما تتفحصان وجهها.

كادت تتلعثم وهي تجيبه: «مرحباً بك يا سيد كاسبيان.» كان مذهلاً... رجلاً اشبه بمولد كهربائي ينبض بحيوية شعرت بها تتسرب من يده إلى جسمها جاعلة اعصابها تتوتر ودمها يسرع في جريانه، لم يكن وسيماً، ولكنها أدركت انها لن تنسى ابداً ذلك الوجه الذي كأنه منحوت او مرسوم

باليد، عاكساً قوة ورشاقة جسده، كان له انسياب وقوة فهد أسود، ومع ذلك فقد ذكرها بالرجل العجوز نوعاً ما، ما أثار حيرتها.

لم يكونا متشابهين، ولكن هناك شيئاً في العينين والفك ذكرها بالسير جورج بشكل غريب، ولكن ذوقه في الملابس كان افضل، فقد كان السير جورج يرتدي بذلاته الكلاسيكية التي كان اشتراها منذ سنوات وينوي ارتداءها حتى تهترىء، بينما كانت ملابس نيكولاس كاسبيان عصرية الطراز، بذلة أنيقة داكنة اللون، مفصلة على احدث طراز، وقميص أبيض منشّى إلى ربطة عنق حريرية بلون القرفة.

كم يبلغ عمره؟ خمسة وثلاثين؟ سبعة وثلاثين؟ أتراه ورث امبراطوريته الصحفية؟ لم تستطع تجنب شعورها بالفضول نحوه... فكل ما كانت تعرفه عنه هي الأقاويل التي قرأتها في الصحف، والتي كانت تسخر منه لجمعه ثروته من بيع امثال هذه الصحف، سألها رافعاً حاجبيه بشيء من السخرية: «اظنك تعملين عند السير جورج بصفة مساعدة شخصية؟»

أومأت بتردد لأن اسم المهنة بدا لها اكثر أهمية مما تقوم به عادة.

قال بلهجة باردة: «انك إذن تعرفين كل أسراره؟» فشعرت بالسير جورج يتململ بجانبهم.

قالت بسرعة قبل أن ينفجر السير جورج مرة أخرى: «لا اعرف أية أسرار.» كان صوتها مبحوحاً منخفضاً وهي تراه يبادلها النظرات المتفحصة بشكل حرك مشاعرها، كان يتأمل، متمهلاً، وجنتيها العاليتين وفمها الوردي

الممتلىء، وعينيها اللوزيتين الخضراوين، وشعرها الحريري بلونه الشبيه بأوراق الشجر في الخريف. أثارت نظراته اعصابها، ما شعرت معه برغبة في ان تنزع يدها من يده ثم تهرب بعيداً، ولكن هذا كان مستحيلاً، إذ عليها أن تبقى مكانها متظاهرة بالبرودة.

ولكنها شعرت بالإرتياح عندما ترك يدها فتمكنت من الالتفات إلى الرجل الآخر تحييه بينما كان مارك يقدمه إليها: «اقدم اليك بييت فان ليدن. يا جينا.»

كان بييت فان ليدن أصغر كثيراً من نيكولاس كاسبيان، كان نحيف الجسم، في أوائل الثلاثينات من العمر، ليس أطول منها بكثير، ذا شعر أشقر ناعم وعينين زرقاوين براقتين، إلى بشرة داكنة السمرة جعلتها تتساءل عما إذا كان يعمل خارج الجدران، أم أنه يمضي كثيراً من وقته في بلاد مشمسة، كانت ملابسه اكثر بساطة، عبارة عن بنطلون بلون الكهرمان، وسترة من التويد وكنزة صفراء فوق قميص أبيض.

قالت: «مرحباً بك.»

أجاب بلطف: «لي الشرف الكبير.» احمر وجهها بينما كان نيكولاس كاسبيان ينظر إليهما.

سألته بصوت منخفض: «هل تعمل أنت أيضاً في الصحافة، يا سيد بييت فان ليدن؟»

«من بعض النواحي، يجب ان اخبرك بمبلغ اعجابي بهندسة بناء هذا المجمع، يا سيدة تيريل، إنني لم أر شيئاً بمثل هذه الروعة في انكلترا، من قبل.»

«آه، اتظن ذلك؟» وأخذت تنظر حولها متشككة، إلى

جدران مجمع باربري وارف المبنية من القرميد الأحمر والأسود، والنوافذ الزجاجية السوداء التي كانت تبدو كالمرايا، الهيكل المثمن الأضلاع.. كل ذلك كان آخر صيحة في الحداثة والتجديد، كان تصميمه يجعل الطباعة وآلاتها في الطابق السفلي تحت الأرض بينما مكاتب الصحيفة المكيفة الهواء والعصرية تماماً بالكمبيوترات، كانت تحتل الطوابق العليا، ولكن جينا لم تكن تحب كل تلك المظاهر العصرية للغاية.

بدا الهزل على وجه بييت وهو يسألها: «ألا تحبينها أنت؟ آه، انظري إلى تلك الطريقة الإغريقية في فن استعمال القرميد، الشكل المثمن الأضلاع، المصاعد الزجاجية، الأرض المكشوفة التي يمكن تقسيمها بسهولة بحواجز متحركة، في المجمع هذا مزايا كثيرة جديدة مثيرة، كما أظن.»

«لكن بناءها كلف الكثير.» وكان هذا صوت السير جورج الذي كان ما يزال عابساً.

فقال بييت بشيء من التهكم: «انك لا تحصل على الأشياء القيّمة بثمن زهيد.»

فقال نيكولاس كاسبيان متدخلاً بهدوء: «ان بييت مهندس ممتاز.»

قال بييت وهو يمنحه ابتسامة عريضة ثم يعود ليتحدث إلى السير جورج: «بصفتي مهندساً لديّ طبعاً ما يدفعني إلى القول ان المهندس الجيد يستحق ما تدفعه له، ولكن صدقني إنني معجب جداً بمهندسك وبك انت، يا سير جورج، كانت شجاعة منك أن تختار هذا التصميم البالغ الحداثة،

وأنا أحسد مهندسك على هذه المنطقة بجانب النهر، وكم أتمنى لو اشتركت في تصميم هذا المجمّع.» إحمر وجهه قليلاً وهو يرى نظرة كاسبيان الساخرة، ولكنه تابع يقول: «ولكنني مكرس عملي لمؤسسة كاسبيان العالمية، ولهذا ما كنت سأتمكن من الاشتراك في مسابقة التصميم التي أقمتها.»

فقال السير جورج: «لغتك الانكليزية جيدة جداً، هل تعمل دوماً هنا؟»

أجاب الرجل الهولندي: «كلا، فأنا اعمل في جميع البلاد الأوروبية، حيثما يريدني نيكولاس كاسبيان أن أشرف على بناءٍ ما.»

أخذت جينا تتفحص نيكولاس كاسبيان من زاوية عينها، لم تكن في لهجته لكنة غريبة وهو يتكلم الانكليزية رغم انه يبدو اجنبياً دون شك، هل هو لاتيني من شواطىء البحر الأبيض المتوسط؟ ان له ذلك اللون، شعر أسود وبشرة سمراء.

سأل السير جورج فجأة: «ما زلت لم تخبرني ماذا تفعل هنا، يا هاكسلي.»

احمر وجه مارك هاكسلي ونظر إلى نيكولاس كاسبيان متردداً، فكان ان أجاب كاسبيان بنفسه باختصار: «لقد طلبت أنا منه ان يريني المكان.» تجاهله السير جورج وتابع حديثه مع هاكسلي: «هذا ليس تهذيباً تماماً، أليس كذلك يا مارك؟ أعني ان تجول بهذا الرجل في أنحاء مجمعي الجديد دون ان تسألني أولاً؟»

تملك مارك هاكسلي الارتباك البالغ، واحمر وجهه:

«آسف اذا كنت جرحتك دون قصد، يا سير جورج، ولكن السيد كاسبيان هو أحد عملاء البنك المهمين جداً...»

فزمجر السير جورج رافعاً ذقنه: «وهل أنا لست كذلك؟»

بدت التعاسة على مارك هاكسلي، بينما هز نيكولاس كاسبيان كتفيه: «اذا كان وجودنا هنا سيسبب ازعاجاً يا مارك، فالأفضل ان نغادر المكان.»

وقبل ان يتحرك، أبعد عن جبينه خصلة من شعره الأسود الكثيف كان حركها الريح وهو يلقي على السير جورج نظرة أدهش جينا ان تراها مزيجة من العبوس والعطف، ثم قال بهدوء: «ولكن اصغ إليّ يا سير جورج، لا يمكنك مواجهة الحقائق إلى الأبد، وعاجلاً أو آجلاً سيكون عليك ان تتحدث معي.»

فصرخ الرجل العجوز فيه: «أخرج من هنا.» ونفر عرق في صدغه، ما جعل جينا تشحب قلقاً، فتضع ذراعها حول الرجل العجوز فتذعر وهي تراه يرتجف.

فانفجرت تقول لكاسبيان: «أرجوك... انك تغضبه... أرجوك أن تذهب.»

فقال السير جورج وهو يبعدها عنه: «لا تتوسلي، يا جينا.»

إلتقت عينا كاسبيان الباردتان بعينيها لحظة قصيرة ثم قطب جبينه: «هناك هاتف في سيارتي، هل أتصل بطبيب؟»

بدا السير جورج متشجناً وهو يتنفس بعنف: «هل تخرج من هنا أو آمر بطردك من المبنى؟»

فقالت جينا محتجة وقد ازداد شحوب وجهها: «هذا كثير عليه، فهو رجل مسن.»

أومأ نيكولاس كاسبيان برأسه فجأة، ثم تحول مبتعداً دون أن ينطق بكلمة، بينما أسرع الرجلان الآخران خلفه.

همست جينا وهي تعود فتحيطه بذراعها: «فلنذهب يا جدي.» كان الغضب يضر بصحته، ولكن كيف بإمكانها أن تمنعه من الغضب؟ انه دوماً ناري الطبع، وقد أصبح اكبر سناً من أن يتغير، ولكنها على كل حال، كانت من الحب له بحيث لم تكن تريده أن يكبح طبعه، ولكنها كانت تخاف أن يأتي يوم يقتله فيه حدة طبعه البالغة هذه.

قال لها ساخطاً: «لا تعامليني وكأنني طفل، يا جينا.» ولكنه مال يتكيء عليها بثقل جسمه، كانا في طريقهما عائدين إلى شارع الصحافة، ولكن جينا كانت تتساءل بقلق عما إذا كانت تستطيع اقناعه بالذهاب إلى البيت. رأهما السائق، فأسرع يساعدها بإمساك ذراع مخدومه متجهاً به نحو السيارة.

إتكأ في مقعده ثقيل الأنفاس، والسيارة تتجه بهم إلى شارع الصحافة، فتحت جينا فمها تقترح عليه الذهاب إلى البيت وإذا به ينفجر فجأة قائلاً وهو يهتز: «اظن احياناً ان لعنة اصابتني، لقد فقدت كل شخص ذي شأن بالنسبة إليّ... زوجتي أولاً، ماتت بالسرطان وهي شابة، ثم إبننا جاك مات مع زوجته في حادث طائرة.»

شعرت بغصة في حلقها وهي تمر بيدها برقة على جلد يده المجعد الجاف، واصابعه التي تصلبت بفعل الروماتزم، كان نادراً ما يتحدث عن الماضي أو عن أموره الشخصية، كان يتجنب الإفضاء بمشاعره إلى الآخرين وهو يعتبر ذلك خطأ بالغاً.

قالت له بهدوء: «عليك ان لا تفكر في الماضي.» ولكنه لم يكن يستمع اليها، كان حديثه موجهاً إلى نفسه اكثر مما هو اليها. عيناه بركتان من دم ووجهه شاحب كالشمع، فتملكها القلق لمظهره. «تمنيت لو كنت مت معهما، ولكن ابنهما كان موجوداً، كان جايمس في السابعة فقط من عمره عندما قتلا، وكان بحاجة إليّ.»

قالت له بلطف: «لقد كان شغوفاً بك.» عند ذلك ابتسم لها لكن الندم ظهر في عينيه: «ولكنني أغرقت نفسي بالعمل لكي أنسى ولهذا لم اكن أراه كثيراً، كنت أتركه دوماً مع أناس آخرين، وإذ كنت اشعر بالذنب لعدم منحه ما يكفي من وقتي، دللته كثيراً، كما أظن، فكنت احضر له الهدايا واعطيه ما يطلب وأتركه يفعل ما يريد...»

أخذت جينا تفكر باكتئاب في أن هذا الدلال تناول أمرها أيضاً. فقد كانت تعرفت إلى جايمس عندما كانت هي وجايمس مازالا تلميذين في المدرسة وفي السابعة عشرة من العمر، وفي الثامنة عشرة عرض عليها الزواج منه، كانا مايزالان صغيرين، وقد أحب الواحد منهما الآخر بكل عنف البراءة والصبا، كان جايمس متلهفاً إلى الزواج منها، بينما كانت هي تريد الانتظار، كان لدى جينا تعقل في اعماقها، طلب منها التفكير مرتين بالنسبة لهذا الزواج المبكر، كانت تحب جايمس بقوة، ولكنها كانت تشعر بنفسها أصغر من أن تتحمل مشاكل الزواج ومسؤولياته.

كان والدها حياً عند ذاك فتملكه الرعب، إحتج وحاول أن يرفض، وتملكها شبه رجاء في ان يفعل ذلك رغم أن حبها لجايمس يجعلها لا تستطيع رفض طلب له، ولكن جايمس

نجح في ما يريد لأنه كان يحرك كل شيء بإصبعه الصغير بما في ذلك جده، وهكذا استعمل الجد الخشونة والفظاظة نحو الوالد المسكين موضحاً بجلاء ان جايمس إذا كان يريدها، يجب إذن ان يحصل عليها، وهكذا أذعنت هي والدها.

لكنه كان والحق يقال، يعاملها بنفس الحب والرفق اللذين يعامل بهما جايمس، ما جعلها فرداً من أسرته، وعندما مات والدها قبل وقوع الحادث لجايمس بوقت قصير، كان السير جورج من الرقة والحنان نحوها بحيث تعلقت به وأحبته حباً شديداً، ذلك انها وجدت وراء مظهره الخشن، قلباً محباً حنوناً خصوصاً نحو الأحداث في السن.

وكان السير جورج يتابع قائلاً: «ثم فقدت جايمس في ذلك الحادث نتيجة طيشه.»

شعرت بعينيها تغرورقان بالدموع، فأشاحت بوجهها وهي تمسح عينيها بقفا يدها.

فتأوه الرجل العجوز: «أنا آسف يا عزيزتي، تباً لي، تباً لعدم لباقتي، انني أعرف كم يحزنك الحديث عنه...»

فقالت بحزن: «ولكن هذا صحيح، فقد كان جايمس طائشاً.»

ألم يكن هذا هو أحد اسباب انجذابها إليه في البداية؟ لقد كانت من حداثة السن بحيث كانت سرعته وعنفه يثيرانها.

أجاب الرجل العجوز عابساً: «نعم، هذا صحيح، وكل هذا كان ذنبي أنا، فأنا الذي دللته حتى اعتاد التصرف كما يريد، لو أنني كنت علمته ان يستعمل عقله، لما حاول قط ان يقفز

من فوق ذلك السياج بحصان لا يستطيع هو السيطرة عليه، ولكان بقي حياً حتى اليوم.»

فقالت وقد بدا وجهها شاحباً: «عليك ان لا تلوم نفسك.»

فقال عابساً: «ان لك قلباً حنوناً، يا عزيزتي، ولكن الحقيقة هي انني دوماً اقدم عملي على أسرتي.»

كانت تعرف أناساً يوافقونه على ذلك، فقد كان لديه الكثير من المنتقدين، هذا إذا لم يكونوا أعداء، ولكنها لم تجد فائدة من لومه في هذه السن على الطريقة التي أمضى بها حياته، أو لما فعلته به الايام أو طبيعته التي خلقت معه.

قال فجأة: «إذا أنا فقدت صحيفتي سنتنال الآن، فهو عقاب لي.»

التفتت تحدق إليه ذاهلة: «تفقد سنتنال؟ ما الذي تتحدث عنه؟»

تنهد وأحنى رأسه يسمر نظراته في الأرض: «اظنك ستعلمين عاجلاً أم آجلاً.»

«أعلم ماذا؟»

«ان لدينا مشاكل يا عزيزتي.»

«مشاكل؟ أي نوع من المشاكل؟»

فتمتم بمرارة: «مالية، ان لدينا مشاكل في السيولة أو ما تسمية دوائر الاعمال (صعوبات مالية خطيرة)، أما رجل الشارع فيسميه (نحو الإفلاس).»

تملكها الذهول وهي تحدق في وجهه المتحول عنها، لم يحدث قط أن نطق بكلمة عن أي من هذا امامها... ولكن هذا لم يدهشها، إذ رغم انها تعمل في مكتبه، إلا انه مازال يبقيها في الظلام بالنسبة إلى عمله، كانت تعلم أن معظم

الناس يظنون أنه أوجد لها هذه الوظيفة لكي يعطيها شيئاً تعمله بعد موت زوجها، وكان في هذا بعض الحقيقة بحيث لا يمكنها الإنكار.

كانت تعلمت أعمال السكرتارية، ولكنها كانت في العشرين من عمرها فقط عندما ترملت، ولم تكن تستطيع القيام إلا بوظيفة بسيطة، ولكن السير جورج ما كان ليقبل بذلك إذ كان يقول ان من المحرج له ان تشتغل أرملة حفيده في وظيفة بسيطة الشأن، كما أنه لم يسمح لها بالعمل في شركة أخرى... فهذا أيضاً كان محرجاً له، كما قال، توسل إليها ان تسمح له برعايتها، وأن يبقيها بجانبه، قائلاً انها آخر ما يربطه بحفيده الراحل، وسيفتقدها لو انها غادرت منزله وشركته، وبعد ذلك كانت جينا من الضعف بحيث لم تناقشه في ذلك، لقد كان يخفف من حزنها معرفتها بأن ثمة من يحتاجها.

في البداية، لم يكن لديها الكثير من العمل، وكان عليها أن تخترع وظيفتها بنفسها، وما لبثت ان أدركت بالتدريج، أن ثمة فراغاً في المكتب الواسع المزدحم بالعمل والذي يحيط بالسير جورج، كان لديه الكثير من السكرتاريين الذين يقومون بكل الأعمال، ولكن ما هو بحاجة إليه هو شخص يكون دوماً بجانبه ليرعاه شخصياً، ويخفف عنه أعباء الحياة مبعداً عنه الناس بمن في ذلك سكرتيرته الأولى، احياناً، عاملة كوسيط بينه وبين العالم، فتتحدث إلى من لا يريد التحدث إليه شخصياً ولكنه لا يريد أيضاً أن يجرحه، ان تكون له بمثابة العين والأذن في الشركة، تتوسط بينه وبين بعض المستخدمين الذين لديهم مشكلات لا تصلح لأن

يعرضوها من خلال الوسائل المعتادة. لقد أصبحت جينا بشكل ما، إمتداداً للسير جورج نفسه، ولكن في نواح خاصة فقط، فهي لم تكن تعلم شيئاً عن أحوال الصحيفة المادية.

كانت رئيسة السكرتارية وهي امرأة في منتصف العمر، قد كرهت وجود جينا بينهم فقدمت استقالتها آملة أن تدفع السير جورج إلى الاختيار بينهما. ولكنها أخطأت في ذلك إذ ان السير جورج قبل استقالتها بأدب لم يخف ارتياحه للتخلص منها، واستبدل بها على الفور امرأة أصغر سناً منها هي هيزل فوربس،كانت هيزل تكبر جينا بحوالي السنتين فقط، ولكنها كانت فتاة هادئة صافية الذهن، لم يكن لديها مشكلة تشغلها عن إدارة المكتب الكبير، ما وجدت معه من السهل إدارة شؤون بقية الموظفات، وقد اصبحتا، هي وجينا صديقتين في وقت قصير، وذلك منذ تأكدت هيزل من ان جينا لن تزعزع مركزها أو تستولي عليه لنفسها.

ولكن صداقتهما لم تكن حميمة، على كل حال، فقد كانت جينا بالغة الخجل، فهي لم تخرج مع رجل منذ موت زوجها منذ خمس سنوات، دوماً كان هناك رجال يتوددون إليها بشيء من التردد، ولكنها كانت توقفهم عند حدودهم بأدب، فقد كان حبها لجايمس عنيفاً، وكان لشدة الصدمة والألم اللذين عانتهما عند مقتله ما جعلها تخاف من الوقوع في الحب مرة أخرى.

كانت تعلم الكثير عن هيزل والتي كانت جميلة جداً ومحبوبة، رغم انها حتى الآن، لم تعقد علاقة جدية مع أي من الشبان الذين تخرج معهم.

على كل حال، كانت هيزل متحفظة تماماً في ما يتعلق بالعمل، وإذا كانت تعلم شيئاً عن الصعوبات المادية التي تواجهها الصحيفة، فهي لم تنطق بحرف عنها لجينا، رغم أنها جينا كانت تعلم كبيرها أن الصحيفة تعاني من مشاكل بالنسبة إلى هذا الانتقال من شارع الصحافة فليت ستريت، إلى مجمّع باربري وارف، والذي يبعد نصف ميل تقريباً عن ضفاف النهر، ان أول مرحلة من بناء المجمع الجديد كان ينبغي أن تتم منذ أشهر.

وفي الواقع، كان المفروض الآن ان يكونوا انتقلوا إلى مجمّع باربري وارف من البناء القديم والذي يعود طرازه إلى القرن التاسع عشر، وذلك من فليت ستريت والذي تصدر منه صحيفة سنتنال منذ ثمانين سنة، ولكنهم الآن، ليس فقط لم ينتقلوا بعد من المبنى القديم وملحقاته بل هم لم يبيعوا ذلك المبنى بعد.

سألت السير جورج: «هل كلف بناء المجمع الجديد كثيراً؟»

هز هذا كتفيه: «هذا جزء من الأمر، فالتقييم الأساسي كان مئتي مليون.»

فشهقت: «كم؟»

ابتسم بجفاء: «نعم، يبدو هذا كثيراً، عندما اخذنا قرضاً بهم في البداية، كانت الفائدة نصف ما هي عليه الآن، ولو ان البناء لم يستغرق هذا الوقت الطويل، لكان بإمكاننا إعادة المال إلى البنك قبل ان ترتفع الفائدة، وهكذا استمرت في الارتفاع، ما جعلنا بالكاد نتمكن من دفع الفائدة فقط، فكيف بالقرض نفسه؟»

فقالت مقطبة الجبين: «أليس في بيعكم للمبنى القديم فائدة محسوسة؟»

فقال بضيق: «هذا واضح لو استطعنا، ولكننا لم نجد من يشتريه حتى الآن، ان سوق بيع الأملاك في لندن سيء للغاية، وليس هذا نهاية مشاكلنا، بسبب هذا الركود الاقتصادي، أصيبت واردات الاعلانات بنكسة شكلت كارثة حقيقية، وهكذا هبط دخلنا بينما مدفوعاتنا ارتفعت، وما زال علينا سداد هذا القرض.»

وألقى على جينا نظرة سريعة عابسة وتابع: والآن، لا أريد التلفظ بكلمة عن هذا أمام أي شخص، سينعقد مجلس الإدارة هذا الأسبوع، ولا أحد يعلم نتيجته.»

كانت تعرفهم جميعاً، أعضاء مجلس الإدارة أولئك، بأناقتهم وابتساماتهم ومظاهر حسن التغذية عليهم، لو حدث الأسوأ فهم سيبحثون عمن يلقون عليه باللوم، وكبش الفداء سيكون السير جورج تيريل دون شك، ذلك انه هو وحده صاحب مشروع مجمع باربري وارف منذ البداية.

كان المكان الأصلي رصيف ميناء تبحر منه السفن إلى شاطىء باربري في شمال أفريقيا، كما ان الرصيف يدعى وارف في لغة قديمة. وكانت السفن تعود بالعاج والبرتقال والبهارات والسجاد والنحاس والحلى الفضية. وكان الاسم بالنسبة إلى جينا، غريباً رائعاً شاعرياً، انها تذكر زيارتها مرة إلى المخازن في ذلك المكان، وكيف كانت الابنية عالية معتمة نوافذها مغبرة تسدها العنكبوت، فهي هناك منذ اكثر من مئة عام. لم تجرؤ حينذاك على متابعة السير إلى الداخل، وإنما وقفت قرب البوابات العالية تتلصص

بنظراتها إلى الداخل، لقد اختفت تلك المخازن الآن، بعد أن جرفها البلدوزر، وهكذا وضعت الأسس وارتفعت الجدران نحو الفضاء، ولكن عند ذلك كان جايمس قد مات فذهب معه بعض طاقة وحرارة جده العجوز.

وقفت السيارة الليموزين امام مكاتب صحيفة سنتنال القديمة في فليت ستريت، ثم ترجل السائق ودار حول السيارة يساعد السير جورج وجينا على الترجل.

ابتسمت للسائق قائلة: «إذهب وتناول كوب شاي، يا جون لا بد انك تشعر بالبرد. سنتصل بك عندما يريدك السير جورج أن تأخذه إلى الغداء، انه سيأكل في النادي اليوم.»

أمسكت بذراع الرجل العجوز، فشعرت به يميل بثقله عليها اكثر من المعتاد، كان تعبه يزداد يوماً عن يوم، اخذا يسيران على الرصيف ببطء إلى أن دخلا من الباب الدوار إلى الردهة حيث السقف العالي المعتم والأرض المرصوفة بالقرميد. وفي الداخل كان هدير المكنات تحت الأرض حيث تطبع الصحيفة، وكانت اجراس الهواتف يتعالى رنينها فيتجاوب صداها في المكاتب العتيقة في الطابق الأرضي.

حياهما الحارس على الباب ثم هرع لينزل المصعد، وتمتمت موظفة الاستقبال بتحية مهذبة، أومأ السير جورج برأسه وقال صباح الخير، لأحد من موظفي هيئة التحرير، ثم ابتسم لسكرتيرة كانت صاعدة إلى مكتبها. كان يحب التفكير في أنه ما زال على اتصال بمن يعمل في سنتنال، رغم انه منذ وفاة جايمس، لم يعد يقوم بجولة بطيئة في الأنحاء، يومياً كما اعتاد.

قال لمن كان صاعداً معه في المصعد: «ان طقس اليوم بارد.» فكانوا يبادرون إلى الرد بالموافقة في صوت واحد، كما كان يتوقع ولكن لم يحاول أحد تبادل الحديث معه، عبست جينا قليلاً وهي تنظر إلى وجوههم المؤدبة. لقد أصبح بالنسبة إليهم شخصاً نائياً... أتراه يحس بذلك؟

كان مكتب رئيس الصحيفة في الطابق العلوي. وعندما خرجا من المصعد، قالت جينا: «يا ليتك كنت اخبرتني بمبلغ قلقك، فربما كنت ساعدتك بالحديث عن ذلك، انك تحمل أعباءً كثيرة.»

«لا أريد أن أضع اثقالي على كتفيك الفتيين، كان هذا آخر ما أريد في الواقع، وعندما ابتدأ كاسبيان بالمفاوضة، أصبح الأمر مزعجاً، لقد تساءلت من أين أتى بمعلوماته تلك، ولكن الآن أصبح الأمر واضحاً، فقد باعنا البنك.» ولمعت عينا الرجل العجوز.

نظرت جينا إليه بانزعاج: «ماذا تعني؟»

«أعني انهم دائنونا الرئيسيون، فإذا ظنوا اننا قد لا نستطيع مواجهة قرضنا، فسيعقدون اتفاقاً سرياً مع كاسبيان.»

«من المؤكد انهم لن يفعلوا ذلك، أليس مثل هذا التصرف من البنك هو عمل لا أخلاقي؟»

فضحك بعبوس قائلاً: «لا اظن الاخلاقيات تشغل بالهم.»

كانا وصلا إلى مكتبه، فوقف محدقاً في اللوحة المصنوعة من خشب الماهوغاني والموضوعة على بابه، ثم قرأ: (الرئيس... السير جورج تيريل).

ابتسم باكتئاب: «لقد أمضيت السنوات الأخيرة اخطط لهذا

الانتقال إلى مجمع باربري وارف. وسيكون من السخرية ان أترك صحيفتي سنتنال حتى قبل أن أترك هذا المبنى، أليس كذلك؟»

وضعت وجنتها على كتفه بحنان: «انك ستفكر في شيء ما يخرجك من مشكلتك، فلا تكن إنهزامياً.»

قبّل قمة رأسها وقال: «اذا كان هناك شيء، فسأجده، هذا وعد مني.»

وفي مكتبه ساعدته على خلع معطفه الكشمير ثم علقته في غرفة الملبوسات خارج المكتب، وما أن جلس السير جورج خلف مكتبه، حتى ظهرت هيزل أنيقة رشيقة بتنورة رمادية وبلوزة زرقاء، وشعرها البني الداكن يموج حول وجهها البيضاوي بنعومة، قالت وهي تضع أمامه ملفاً: «انك جئت في الوقت المناسب لأول موعد، لقد صنعت القهوة، هل أسكب لك فنجانك الآن أم تريد انتظار وصول السيد ديردن؟»

أجاب وهو يضع نظارتيه ثم يفتح الملف: «أريد كوباً الآن، ولكن أحضري كوباً آخر للسيد ديردن.»

سألته جينا: «هل تريدني أن أبقى أثناء رؤيتك للمحرر؟»

وكان هو يطلب منها البقاء أحياناً أثناء مقابلته الصباحية لرئيس التحرير، فقال وقد ابتدأ بالقراءة: «ليس هذه المرة يا عزيزتي.»

تبعت هيزل إلى خارج المكتب، وما أن انغلق الباب خلفها، حتى قالت: «إنني بحاجة إلى قهوة ثقيلة حقاً، فالبرد جمدني لوقوفي ذاك في ناحية باربري وارف مدة

طويلة، كما انه هو أيضاً بدا متجمداً من البرد، يا ليته لا يصر على الذهاب إلى هناك كثيراً.»

«قولي له ذلك، فربما يسمع منك.»

«لقد تعبت من كثرة القول له، ولكنه لا يهتم.»

لم تبد الدهشة على هيزل، فقد كانت تعرف الرجل العجوز كما تعرفه جينا تقريباً، كانت سكرتيرة درجة أولى، هادئة وأنيقة للغاية، مترقبة أية إشارة من رئيسها، وبإمكانها قراءة ما بذهنه احياناً...

ابتسمت جينا لاوية شفتيها، ثم حملت فنجانها وسارت نحو مكتبها، كانت لديها كومة من الأوراق تنتظرها، فهذه الأيام اصبحت كل الأقسام تفضل الاتصال بالسير جورج عن طريقها راجين أن يستغنوا بذلك عن هيزل التي كانت تحمي رئيسها إزاء أي تطفل غير مرغوب فيه. ولكن أملهم كان يخيب على الدوام، لأن آخر ما كانت جينا تريده هو استياء هيزل منها، ألقت جينا نظرة على الرسائل في حالة كان بينها شيء هام، ثم راجعت نسخة من برنامج السير جورج لهذا اليوم، وعندما رأت أن ليس لديه موعد في المساء، اتصلت بالمنزل وتحدثت إلى مدبرة المنزل، السيدة توماس، لتقترح قائمة للعشاء تحتوي الأنواع التي يحبها السير جورج.

وعندما وضعت السماعة إصطدمت يدها بكومة من صحف اليوم كانت موضوعة على حافة المكتب، فانحنت لتجمعها، كانت واحدة منها قد انفتحت أثناء سقوطها وإذا بصورة فيها تحدق إليها، أجفلت وهي ترى الصورة لنيكولاس كاسبيان في بذلة السهرة ويضع ذراعه حول

كتفي شقراء مذهلة الجمال عرفتها هي أيضاً، كريستا زوردستروم عارضة أزياء سويدية احتلت مؤخراً أغلفة المجلات. أتراها آخر صديقات نيكولاس كاسبيان؟

أعادت جينا طي الصحيفة واعادتها إلى حيث كانت، ان اعمالها الكثيرة لا تسمح لها بأن تضيع الوقت على التفكير في حياة كاسبيان الخاصة.

اخذت تقوم بالاتصالات الهاتفية، احداها إلى قسم الأخبار الأجنبية لتتحدث إلى صديقة لها من أيام المدرسة، روز إيميري، والتي حصلت على وظيفة في الصحيفة حديثاً.

سألتها باسمة: «هل اعجبتك الحياة في سنتنال، يا روز؟»

فقالت روز بحذر: «ليست حسنة دوماً.»

قطبت جينا جبينها: «هل حدث شيء؟»

فقالت روز: «لا يمكنني الكلام الآن، ما رأيك في تناول الغداء معاً؟»

«اليوم؟»

«هذا عظيم، في أي وقت؟»

«الثانية عشرة والنصف، أتريدين الغداء خارجاً أم هنا في الكانتين؟»

«خارجاً، إذا كان هذا يناسبك.»

«بكل تأكيد، سأرى ان كان يمكننا حجز مائدة في شيشاير شيز، ما رأيك؟»

فضحكت روز: «لما لا؟ وإلا اخذنا شطائر من أي مقهى عام، إلى اللقاء.»

كانت روز بطبعها لا تحب تضييع الوقت، وتذكرت جينا

أنها حتى في المدرسة كانت تعرف ما عليها أن تفعل، عندما كانتا في العاشرة، كانت روز تدعي انها ستصبح، عندما تكبر، أحسن مراسلة أجنبية، وقد دخلت الجامعة لدراسة اللغات، ثم ذهبت إلى باريس لتعمل في وكالة أنباء لمدة عام، مختصة بإرسال اخبار فرنسية إلى صحف لندن. ومن باريس ذهبت روز إلى روما حيث أمضت عدة أشهر، ثم إلى برلين، وذلك قبل ان ترتب حصولها على منحة دراسية للسفر في جولة حول العالم لمدة سنة. وقد أرسلت ريبورتاجات من كل مكان مرت به في طريقها، وعند عودتها منحها السير جورج وظيفة في سنتنال.

غالباً ما كانت جينا تحسد روز على رؤيتها الواضحة لما تريده من الحياة، ذلك ان جينا لم تكن واثقة من نفسها إلى هذا الحد، فهي كما يبدو، تنجرف مع التيار بين لحظة وأخرى، ومن مكان إلى آخر كالسمكة، ويبدو انها دوماً تدع الآخرين يقررون أمورها عنها... أولاً جايمس، ثم جده.

عندما اتصلت بمطعم شيشايرشيز، المطعم الشهير في شارع فليت والذي كان على خريطة السائحين وعادة ما يملأه السائحون من اميركيين ويابانيين حتى الباب، تمكلتها الدهشة وهي تحصل على مائدة لشخصين.لم تكن تناولت الطعام فيه سوى مرة واحدة وذلك منذ سنوات، ولكنها لم تنس ما قدمه اليها من ستيك وكبد وفطائر.

تصاعد طرق على بابها فقالت وهي مازالت تبتسم: «أدخل.» انفتح الباب فرفعت بصرها وإذا بعينيها تتسعان ذهولاً وهي ترى نيكولاس كاسبيان.

«أنت؟»

«أنا؟» ثم اغلق الباب خلفه وتقدم نحوها بخطوات واسعة، وجعلتها السخرية البادية في ملامحه تشعر فجأة بالغضب.

سألته بحدة: «ماذا تريد؟ لا يمكنك ان ترى السير جورج فقد كدرته هذا الصباح بما فيه الكفاية بظهورك المفاجيء في باربري وارف، لا أدري من منكم الأسوأ، انت أم اصحاب البنك، على كل حال، لن أدعك تراه مرة أخرى هذا النهار.»

جلس على كرسي امام المكتب دون أن يجيب وقد أمال رأسه إلى جانب ووضع ساقيه الواحدة على الأخرى.

كانت عيناه الرماديتان غامضتين لا يمكن قراءتهما، كان وجهه في الواقع دون تعبير على الاطلاق، حتى تلك اللمحة الساخرة فيه قد تبددت، ولكنها كرهت منه ثقته الهادئة بنفسه.

شعرت بحماقتها، فقد فقدت اعصابها دون أن تؤثر فيه، إحمر وجهها وقالت بتعاسة: «آه، لماذا لا تذهب وتتركه لشأنه؟»

فقال برقة: «إنني لم أحضر لرؤيته، لقد جئت لأدعوك إلى تناول العشاء معي.»

الفصل الثاني

لم تصدق جينا أذنيها: «ماذا قلت؟»

أخذ يهز قدمه: «هل تحبين الطعام اليوناني؟ سمعت أخباراً طيبة عن مطعم يوناني افتتح حديثاً في شارع نايتون ستريت. أليس هذا قريباً من منزل تيريل؟»

قالت وقد اهتز صوتها من الغضب: «ان لك أعصاب باردة، انك ستحطم شخصاً أكنّ له بالغ الحب، ومع ذلك تدخل إلى هنا وتتحدث ببرودة الثلج، وتطلب مني تناول العشاء معك.»

«إذا كنت تحبين السير جورج حقاً...»

فقاطعته: «إذا كنت تريد ان تصل إلى السير جورج عن طريقي، عليك ان تنسى هذا، انه لا يسألني النصيحة بالنسبة لشؤون العمل، ليس لديّ نفوذ عليه.»

فقال ببطء: «انه يدعك في الظلام، أليس كذلك؟»

ألقت عليه نظرة باردة: «انني لن أتحدث معك عن السير جورج أو اعماله.»

يبدو ان برودتها لم تخفه. أخذ ينظر إليها متأملاً، ثم سألها: «منذ متى مات زوجك؟»

فزاد ذلك في غضبها: «كما أنني لن اتحدث معك عن حياتي الخاصة.»

فسألها بلهجة هادئة: «هل هناك رجل في حياتك؟»

فالتهبت عيناها: «أخرج من مكتبي.»

التمعت عيناه بالتسلية وهو يقول: «كنت أعلم ان ليس لديك صديق.» أوشكت، لشدة غضبها، أن تصرخ به وهي تقول: «أنا لم أقل ذلك.»

ولم تعلم كم كان انكارها الغاضب بعيداً عن الحكمة إلا بعد أن ابتسم ساخراً: «هذا واضح دون أن تقوليه.»

خفضت بصرها عابسة، ما الذي يعنيه بقوله هذا؟ لماذا عدم وجود رجل في حياتها واضح عليها؟ ألقت نظرة على مرآة على الجدار المقابل متمنية لو كانت وحدها لترى إن كانت هناك اثار لما قد يكون كاسبيان رآه على وجهها، بينما كان هو يقول: «كما سبق وقلت، إذا كنت حقاً تهتمين لما يحدث للسير جورج، عليك ان تتناولي العشاء معي، وبذلك يمكننا التحدث عن هذا الوضع.» كان يبدو وهو يقول ذلك، بأتم راحة واسترخاء، ما اثار غيظها لأنها لم تستطع هي نفسها، الإسترخاء، كانت من التوتر، بحيث أشبهت نفسها بقطعة مطاط مشدودة، ان وجودها معه في غرفة واحدة يكفي لجعل اعصابها تتوتر.

قالت له باختصار: «أنا مشغولة.»

سألها: «هل لديك موعد آخر مع رجل؟»

ترددت لحظة لا تريد أن تكذب، ثم أومأت إيجاباً، حدق إليها بعينين عنيفتين ضيقتين، وبعد لحظة كان واقفاً على قدميه ليدور بعد ذلك حول المكتب ثم يجلس على حافة مكتبها بجانبها، تراجعت في كرسيها إلى الخلف وهي تطرف بعينيها، وبان عليها الحذر وهو ينحني فوقها، هتفت به: «ما... ماذا تظن نفسك فاعلاً؟» مدّ يديه ممسكاً

بذراعي كرسيها، ثم أداره نحوها لتواجهه، وعيناه الساخرتان لا تبعدان عن عينيها اكثر من إنش واحد.

كانت ترتدي ثوباً بلون الكهرمان عالي العنق طويل الكمين ذا تنورة واسعة تصل إلى منتصف الساقين، مبرزة تقاطيعها الأنثوية، اخذ كاسبيان يجول بنظراته بين تقاسيم جسمها، من شعرها حتى القدر الذي تمكن من رؤيته من ساقيها، الرشيقتين، كان تحديقه هذا شخصياً جداً، ما جعل وجهها يتوهج احمراراً.

«لا اصدق ان لديك موعداً آخر.»

«لا يهمني ما تظنه.»

«لماذا تكذبين عليّ إذن؟»

رفعت وجهها تنظر إليه متحدّية: «لا بأس، ليس لديّ موعد آخر، ولكنني لا أريد تناول العشاء معك.»

فقال ببرودة: «هذا أحسن فأنا أحب الصراحة، حتى ولو كانت إهانة.» وأخذ ينظر إلى اهدابها المرتعشة ، فأحست بنظراته رغم خفضها بصرها، وبعد لحظة قال: «السير جورج يتصرف بحماقة، ولكن ليس عليك أن تقلديه في ذلك مهما كانت درجة محبتك له، عليك أن تتحدثي إليّ إذا كنت عاقلة، تنازلي عن عليائك واقبلي تناول العشاء معي.»

التمعت عيناها الخضراوان: «لا أدري ان كان كلامك هذا تهديداً أم ابتزازاً، ولكنه مهما كان لا فائدة منه، فأنا افضل القفز من النافذة تلك على تناول العشاء معك.»

فانفجر ضاحكاً: «اعذريني إذا أنا اعتبرت القفز من نافذة في الطابق الثاني عشر هو تعبير زائد عن اللزوم عن رفض دعوة للعشاء.»

شعرت مرة أخرى بأنها حمقاء وأدركت أنه أرادها ان تشعر بذلك، فقد اخذت تدرك أسلوبه. كانت عيناه تسخران منها بصمت، ما جعلها لا تشعر نحوه بالنفور فقط، بل بالكراهية أيضاً، دوماً كانت جينا تعتبر نفسها هادئة، فهي ليست من النوع الذي يطلق تهديدات عنيفة أو يرغب في ضرب رجل بشيء ثقيل، ولكن يبدو أن لنيكولاس كاسبيان تأثير غريب على اعصابها، إذ لم يسبق لها قط التفكير بهذا الشكل المتفجر، ما زاد في انزعاجها. منذ بلغت الثامنة عشرة من عمرها وتزوجت جايمس، حرصت على تذكير نفسها بأنها اصبحت كبيرة راشدة، وأن عليها ان لا تنسى أبداً انها اصبحت فرداً في أسرة تيريل، ما يجعلها محط أنظار الناس إينما ذهبت، ولم يكن هذا سهلاً، في البداية ولكنها عودت نفسها على الهدوء والسيطرة على نفسها، حتى بعد مقتل جايمس والحزن البالغ الذي تملكها... وهي لن تفقد تلك السيطرة على نفسها الآن مهما اغاظها نيكولاس كاسبيان.

تنفست بعمق، محاولة التظاهر بالهدوء مع الحزم: «اسمع، هل يتوجب عليّ ان اتصل بالحرس الأمي ليخرجوك من مكتبي؟»

لكن التهديد لم يحركه، بل العكس جعله اكثر تهكماً وهو يسألها: «هل المفروض ان يخيفني هذا؟»

وعندما لم تجب، عاد يسألها: «هل عرفت رجلاً قط عدا زوجك؟»

فقالت بصوت كالفحيح وهي تقبض يديها: «أخرج من هنا.»

نظر إلى قبضتيها رافعاً حاجبيه بشكل هزلي يثير الغيظ: «لماذا يساورني شعور بأنك تريدين أن تضربيني؟»

فانفجرت تقول قبل أن تتمكن من منع نفسها: «لأنني أريد ذلك فعلاً.»

فضحك قائلاً: «انك مليئة بالمتناقضات، ظاهراً تبدين حلوة رزينة تماماً، ولكن هناك بركان يغلي وراء هذا، أليس كذلك؟»

أجفلت جينا لقوله هذا، ما جعلها تخرس عن الكلام، فجعله هذا يعود للضحك ثم يقول: «حسناً، رغم استمتاعي بحديثنا القصير هذا، أراني مرغماً على الذهاب الآن إذ عندي موعد للغداء...»

ردت بحدة: «هذا حسن.»

ألقى عليها نظرة جافة: «على السير جورج ان يتعقل! اظنه متعلق بك بقدر تعلقك به، وهكذا رغم ادعائك بأنه لا يطلب منك النصيحة، أنا واثق من انه سيصغي إليك. عليك ان تجعليه يفهم بأن ليس له خيار آخر. وسواء تحدث إليّ أم لا، فأنا سأستلم الصحيفة سنتنال.»

«انه سيجد مخرجاً لمشاكله.» قالت ذلك بعناد، ما جعل كاسبيان يتأملها وعلى وجهه تعبير غريب، كما بدا في عينيه هدوء أقرب إلى الرقة: «أكاد أتمنى، لأجلكفقط، لو ان كلامك صحيح.»

شعرت بقشعريرة في ظهرها، لقد شعرت في تلك اللحظة، بخوف حقيقي على الرجل العجوز، كان في كلام نيكولاس كاسبيان من التأكد مما يقول، ما جعلها تشعر بالخوف، كان يبدو عليه أنه رجل يعلم أنه سينجح، وأن من غير

الممكن ان يتوقف، ولكنها مع ذلك رفعت وجهها تحدق إليه قائلة: «انا اعرفه اكثر منك.»

«لكنني أعرف اكثر منك نوع الورطة التي هو فيها الآن... انه فخ تقليدي يقع فيه رجال الأعمال... مؤسسة قديمة تقرر القيام بتغييرات جذرية من توسع وبناء فروع جديدة، واقتراض مبالغ باهظة لتقع أخيراً في الديون.»

كان هذا وصفاً دقيقاً للوضع الذي رسمه لها السير جورج مؤخراً في السيارة، وتملكها الذعر وهي تدرك مقدار علم كاسبيان بهذا.

قالت بغضب: «قلت لك إنني لا أريد التحدث معك عن هذا الأمر.» وحاولت ان تنهض عن كرسيها، لكنه أمسك بذراعيها وقد ازداد انحناءً عليها.

أجفلت وقالت بحذر: «أتركني.»

«ليس قبل ان تبدإي بالاستماع إليّ جيداً... لا اظنك تعلمين الكثير عن دنيا الأعمال. ليس لدى السير جورج أمل بعد الآن في اكتساب مزيد من المال إلا اذا باع إما المجمع الجديد الذي يبنيه...»

فقاطعته بقولها: «انه سيبيع هذا المبنى القديم وليس باربري وارف.»

فنظر إليها ساخراً: «انه معروض للبيع منذ اكثر من سنتين فلم يشتره أحد.»

عضت شفتيها، انه يعلم الكثير، كيف أمكن للبنك أن يخون ثقة عميله العجوز بهذا الشكل؟ أم أن مارك هاكسلي وحده هو المتآمر مع كاسبيان؟ وهل الشركاء الآخرون في البنك يعلمون بما يجري؟

«بل تقدمت إليه عروض شراء.» قالت ذلك محتجة رغم علمها بأن جميع تلك العروض لم تكن مقبولة، البعض أراد شراء المبنى بثمن رخيص، ولكن السير جورج لم يكن بمثل تلك الحالة الماسة بعد، وتابعت تقول: «والآن من الممكن بيعه في أي وقت، وبذلك يسددون قسماً كبيراً من القرض.»

«وكيف يمكنهم في الوقت نفسه دفع الأقساط الشهرية من القرض بينما يجدون صعوبة في دفع الأجور شهرياً، كما تعلمين؟»

اتسعت عيناها ذاهلة، لم يكن السير جورج اخبرها بشيء عن ذلك، لم يكن لها شأن طبعاً بقسم المحاسبة في الشركة، كما أنه ابعدها تماماً عن اجتماعات مجلس الإدارة والتمويل، ولكن لا بد انها سمعت بعض الشائعات، فهذا المكان مصدر غني للأقاويل التي تتناول كل شيء من آخر علاقة حب بين اثنين من الموظفين، إلى آخر مرحلة من المفاوضات بشأن الأجور، والمنعقدة بين هيئة الإدارة والاتحاد الوطني للصحفيين. فلو كانت المشاكل خطيرة إلى هذا الحد، لكانت سمعت همسات من قسم المحاسبة.

أخذ كاسبيان يراقبها لاوياً شفتيه: «هذا صحيح مع الأسف، يا سيدة تيريل، انهم يعيشون من أسبوع لأسبوع، لا يكادون يستطيعون سداد القوائم المتوجب دفعها، السيولة النقدية لديهم أصيبت بضربة سيئة جداً، ومقدرتهم على الإستمرار في دفع كمبيالاتهم متوقفة على أن يكون لديهم دخل أكبر إلى حسابهم في البنك، وهذا غير حاصل لديهم.»

فسألته بغضب: «من أين علمت كل هذا عن شؤون شركتنا الخاصة؟»

فقال بهدوء: «ان لدي وسائلي الخاصة، صدقيني، فانا أعلم ما أقول، ان الدخل يتبدّد على الدوام، وليس لديهم من المال ما يكفي، ليس بإمكانهم الخروج من هذه المحنة إلا بحقنة جديدة في رأس المال.»

حدقت إليه بوجه شاحب، بينما استطرد يقول: «وهذا هو السبب في ان البنك تحدث إليّ، وما يدفعني إلى التحدث إلى السير جورج. ان بإمكاني توظيف أموالي في الصحيفة، بشروط معينة.»

«ليس للبنك الحق في التحدث إليك.»

«بل لديهم كل الحق في حماية استثماراتهم، ان لديهم حاملي أسهم، كما تعلمين، يتوقعون الحصول على الفائدة منها من خلال البنك، وطبعاً يريدون استعادة اموالهم. وأنا واحد ممن لديه أسهم في البنك، ولهذا تكلموا معي.»

«ما كان لهم أن يخبروك عن أعمال زبون آخر.»

«كنت أعلم بالأمر قبل ان يخبروني به.»

فقالت له ساخرة: «هذا ما ينبغي عليك ان تقوله، أليس كذلك؟ ان البنك يريد منك أن تحتفظ بهذه المؤامرة الصغيرة سراً.»

إشتدت يداه على ذراعيها وكأنه يريد ان يهزها: «ليس هناك مؤامرة، اتظنين حقاً انه يمكن لأية مؤسسة ان تغرق إلى هذا الحد دون أن يعلم بها أحد؟ لقد سمعت تقولات عن مشاكل السير جورج في جميع أنحاء أوروبا. اخبروني عن ذلك في برلين. سمعت همساً في باريس، ان أوروبا عالم صغير ولا يمكنك هذه الأيام ان تخفي أي شيء مدة طويلة.»

عضت شفتها، وهي تصدقه مرغمة، لقد لاحظت شيئاً هي

أيضاً، ومنذ وقت طويل وهي تعلم ان هناك مشاكل رغم أنها لم تكن تدرك مبلغ خطورتها.

قالت بصوت مبحوح: «حسناً، على كل حال، لم يكن من حسن الخلق أن يتآمر البنك معك.»

فأصر على قوله: «انهم لم يفعلوا ذلك، قد ذهبت إليهم أسألهم عن مبلغ صحة ما اخبروني به. كنت أبحث عن اصحاب صحيفة في انكلترا لأدخل معهم مستثمراً، مفكراً في أنه إذا كان صحيحاً ما سمعته عن مشاكل في صحيفة سنتنال، يمكنني إذن التعاقد مع صاحبها.»

«ومع هذا ليس عندهم الحق في التحدث إليك من وراء ظهر السير جورج.»

فعاد يصر قائلاً: «انهم لم يفعلوا ذلك، لقد حاولوا التحدث إليه بالنيابة عني، طالبين إليه ان يقابلني لكي نتحدث في احتمال التعاقد... ولكنه رفض هذه الفكرة.»

«هل يدهشك هذا؟ انك تريد أن تأخذ منه صحيفته.»

تخلل شعره الأسود الكثيف بأصابعه عابساً: «في عمره هذا كان عليه ان يتقاعد على كل حال، انه اكبر كثيراً من ان يستطيع مواجهة كل الضغط والقلق الذي تسببه مؤسسة ضخمة كهذه، خصوصاً اثناء الأزمات، انظري إلى كيفية مواجهته المشكلات حالياً، انه يتصرف كالنعامة، مدعياً ان ليس ثمة خطراً بينما هذا يزداد اقتراباً كل يوم، ان ما تحتاج اليه المؤسسة واضح... زيادة في رأس المال، مبلغ استثماري جيد من مكان ما، ومع ذلك، عندما اقدم له ذلك، يرفض التحدث إليّ ألا ترين هذا جنوناً واضحاً؟»

«لا أعلم عن الأمر ما يكفي لكي احكم.» قالت ذلك ببطء

ولكنها كانت متأثرة بما سمعت منه، المؤسسة بحاجة إلى مبلغ استثماري جديد، كما يبدو... ولكن لا بد ان هناك سبباً جيداً يجعل السير جورج يرفض الحديث مع نيكولاس كاسبيان، كان يخاف منه، يخاف من تحركاته وأهدافه السرية.

اجابها قائلاً: «آه، بل تعلمين.» وازداد اقتراباً منها فابتعدت إلى الخلف ضاغطة بجسمها على مسند الكرسي شاعرة بالإنزعاج، فقد جعلها قربه البالغ هذا منها، جعلها ترى العروق تحت جلده، تألق عينيه السوداوين، خشونة عظام وجنتيه، كانت حدثت نفسها بأنه غير وسيم، ولكن الرجولة التي تفيض منه، خطفت انفاسها، لم تستطع ان تحول عينيها عنه.

«اذا أفلست المؤسسة فستصبح مرتعاً لكل من يريد منها شيئاً.» كان يقول ذلك بينما عيناها على حركات فمه، شاعرة وكأنها منومة مغناطيسياً.

همست تقول: «لن يسمح السير جورج لمثل هذا أن يحدث.»

فقال بحدة: «وكيف يمكنه ان يمنع ذلك؟ وماذا عن كل هؤلاء المهددة وظائفهم؟ وماذا عن أولئك الذين يمولون المؤسسة؟ وعن الدائنين الذي سيخسرون اموالهم؟ عندما تفلس مؤسسة ما، فإن من الصعب جداً أن تعود للوقوف على قدميها.»

وجدت نفسها تصدقه، ومقتنعة بما يقوله.

قالت ببطء: «ان باربري وارف وحده يساوي ملايين...»

«نعم، ما زالت المؤسسة تملك أشياء بالغة القيمة، ولكن

عندما تتلاشى الثقة بمؤسسة ما، يبدأ المساهمون ببيع أسهمهم فتهبط اثمانها كالأحجار، وهي تهبط الآن ليس بسرعة بعد، ولكن بشكل قاس لا يرحم.»

نظرت جينا إليه بحدة: «اظن هذا في صالحك إذ يمكنك شراء الأسهم بسعر زهيد.»

فابتسم ساخراً: «هذا صحيح، طبعاً، ولكن الأسهم المعروضة غير مهمة، لأن كميات الأسهم الكبرى هي ملك اشخاص لا يريدون بيعها ولا يستطيعون ذلك، مثل سليد الشاب الذي لم يحصل بعد على ضيعته التي ورثها عن أبيه، إنني بحاجة إلى كمية كافية من الأسهم تسمح لي بمقعد في مجلس الإدارة، حيث يمكنني التأثير على طريقة إدارة المؤسسة.»

كان كلامه معقولاً تماماً، فلماذا يقف السير جورج ضده إلى هذا الحد؟

قالت: «من المؤسف أنك قمت بزيارة مجمع باربري وارف دون حصول مسبق على إذن منه بذلك، لم يعجبه هذا إذ جعله يشك في أمرك.»

قال عابساً: «هذا ما أدركته، لو كنت أعلم انه قد يكون هناك، لما ذهبت، ولكنني كنت رأيت المجمع عن بعد فأردت رؤيته عن قرب لأتخذ قراراً نهائياً بالدخول إلى المؤسسة. انه قطعة هندسية خلابة تجعلني أستمتع بالنظر إليه ولو لم أكن أفكر في الانضمام إلى المؤسسة، كما ان بييت لا يتلهف شوقاً إلى الطواف في أنحائه، هو أيضاً، عندما كان هنا في لندن لعدة أيام.»

تألقت عيناها: «لقد أعجبه كثيراً، أليس كذلك؟»

فقال بابتسامة ساخرة: «وقد اعجبته أنت أيضاً.»

سكتت جينا مجفلة وقد احمر وجهها، فقال ببطء: «لماذا تدهشين؟ ظننت ذلك كان واضحاً عليه، وأنا واثق من انك تعلمين ان تأثيرك عليه كان كبيراً، انه لم يستطع تحويل عينيه عنك، ولكن الأفضل ان احذرك... ان بييت رجل ظريف، ولكن ليس ثمة امرأة حازت على اعجابه وذلك منذ زمن طويل، ولهذا الأفضل عدم التورط معه.»

«ليس في نيتي التورط، كما تقول مع أي منكما.» قالت ذلك وقد خرجت عن اتزانها وازداد احمرار وجهها.

فقال: «ولكنك ستتناولين العشاء معي هذه الليلة، فأنا لا أراك تعرفين ما يجري، وإذا كنت تريدين مساعدة السير جورج، فمن الأفضل في رأيي، ان تعلمي كل شيء.»

كان هذا معقولاً، اذا كانت تريد مساعدة الرجل العجوز، عليها أن تحيط علماً بكل مشاكله، وببطء، أومأت تقول: «ولكن عليك أن تفهم أنني بجانب السير جورج، وأنني لن أفعل ما قد يؤلمه.»

فقال: «انك أوضحت ذلك تماماً، إذن فسآتي لأخذك عند...»

فقاطعته بقولها: «كلا، يجب أن لا يعلم أنني سأراك، وإلا سيغضب جداً.» وكان هذا منها تخفيفاً لمشاعر السير جورج، وهو الذي في سنه هذا أصبح يرى التآمر عليه في كل مكان، ولم تكن تريد أن يشك في ولائها واخلاصها له.

«سأقابلك في المطعم، إنني اعرفه وان لم اذهب إليه قط، مطعم كنوسوز هو عند زاوية الشارع حيث منزلنا، بإمكاني الوصول إلى هناك في دقيقتين مشياً.»

«لا بأس، الساعة الثامنة إذن.»

«سأكون هناك.»

لم تكد تقول ذلك حتى كان يسير نحو الباب يفتحه وذلك بخفة البرق، نظرت إلى الباب وهي تطرف بعينيها، لقد اخافها حقاً.

قال لها بلطف: «إلى اللقاء.» ثم انغلق الباب وساد المكتب السكون، ولكن جينا لم تستطع الحركة، بقيت خلف مكتبها تحدق إلى لا شيء، متذكرة الإلفة الغريبة التي كانت تسود حديثهما، وابتسامته الساخرة، روح السيطرة التي تنبثق من شخصيته، وجو التهديد الذي يمكنه أن يثيره، انها لم تعرف رجلاً مثله قط.

تصاعد طرق على الباب فأجابت: «أدخل.»

دخلت هيزل وقد استدارت عيناها وبدا فيهما الفضول: «من هو ذلك الرجل؟ لقد أمضى وقتاً طويلاً هنا، هل كان لا بأس في سماحي له بالدخول دون تنبيهك؟»

فقالت جينا عابسة: «يا ليتك لم تفعلي، أريد في المرة القادمة أن تنبهيني إلى قدومه قبل أربع دقائق، ان حضوره المفاجيء يمكن أن يحدث صدمة.»

قالت هيزل ضاحكة: «هذا ما يبدو، أنا آسفة عندما قلت له انني سأتصل بك إلى مكتبك وأخبرك بوجوده، لم يسمح لي بذلك، قال انه يريد ان يفاجئك.»

«وقد فاجأني حضوره حقاً.»

«حسناً، اخبريني بكل شيء عنه، من هو؟ ومنذ متى تعرفينه؟ ولماذا لم تخبريني عنه؟»

«ان فكرتك خاطئة، فهو ليس...» ثم سكتت فجأة وقد

تذكرت أنها إذا هي أخبرت هيزل عنه سيكون عليها ان تجعلها تقسم على حفظ الأمر سراً وإلا فستخبر السير جورج بذلك، وهذا لن يكون مناسباً بالنسبة إلى هيزل ووضعها، ومن الأفضل ان لا تذكر لها شيئاً.

لكن صمتها الطويل زاد من فضول هيزل، لسوء الحظ، فقالت ضاحكة: «هو ليس ماذا؟ ليس جاداً؟ ألا ترين أنه الشخص المطلوب منذ زمن طويل؟ انه جذاب للغاية، وهذا لا يدهشني، لا بد أن لديه امرأة في كل مكان، ولكن من يقول ان الحب يجب ان يكون جاداً أو يدوم وقتاً طويلاً؟ (اغتنم إذن دقائق السعادة قبل أن تذهب) هذا هو شعاري، لو كنت مكانك لتمسكت به أثناء اهتمامه بي.»

احمر وجه جينا وبدا عليها الغضب وهي تقول: «إنني لست متلهفة إلى رجل إلى هذا الحد.»

فأسرعت هيزل تقول: «أعلم ذلك وليس هذا ما كنت أعنيه... ولكن إذا اعجبك فلا تترددي يا جينا، انك وحيدة منذ زمن طويل.»

قالت جينا عابسة: «في الحياة ما هو أهم من وجود رجل بجانبك.»

غمزت هيزل بعينها تقول: «انهم يجعلون الحياة اكثر سعادة، هيا اعترفي بذلك، انهم اكثر إثارة بكثير من فنجان كاكاو تشربينه وحدك، أو ساندويتش تأكلينه أمام التلفزيون.»

لم تستطع جينا أن تمنع نفسها من الضحك، بينما قالت هيزل ضاحكة: «إذن تعلمين أنني على صواب، إنني أعرف كم كانت مصيبتك في زوجك عظيمة، ولكن عليك

ان تبدإي الحياة مرة أخرى، تعلمين أن الزمن لا يتوقف.»

شعرت جينا بالإرتياح عندما رن جرس الهاتف، فتناولت السماعة بسرعة: «آلو، نعم هي هنا سأرسلها اليك.»

فتحت هيزل فمها تسألها دون صوت: «السير جورج؟»

وعندما أومأت جينا أسرعت هيزل إلى الباب وهي تقول لها من فوق كتفها: «اخبريني فيما بعد كل شيء عن ذلك الرجل الرائع.» بينما كانت جينا تقول في الهاتف: «انها في طريقها إليك.»

قال السير جورج باستياء: «أنتن الفتيات تمضين وقتاً طويلاً في الثرثرة، كلما أردت هيزل، اجدها في مكتبك.»

فقالت جينا برقة: «أنا آسفة.»

لم يكن ما قاله صحيحاً، فقد كانت هيزل فتاة نشيطة للغاية، وسكرتيرة غاية في الكفاءة لا تكاد تغادر مكتبها، ولكن الرجل العجوز كان متوتر الأعصاب ومتضايقاً، ولهذا لم تشأ ان تجادله وتظهر له عدم عدله في الحكم عليها.

فقال بحدة: «و أريدك انت أيضاً هنا، حالاً.»

عندما دخلت إلى مكتبه وجدته مزدحماً بالناس كانت الكراسي مصطفة نصف دائرة حول المكتب، كل شخص حول نظره اليها ومعظم الوجوه مألوفة لديها، ابتسمت لهم بينما غمزت هيزل لها بحذر.

قال السير جورج مشيراً إلى كرسي بجانبه: «تعالي واجلسي بجانبي يا عزيزتي.»

جلست جينا آملة ان تبدو اكثر هدوءاً مما تشعر، متوترة الأعصاب لجلوسها بهذا الشكل المميز، كان هؤلاء الرجال ذوي مهابة ونفوذ وسلطة بينما كانت تعلم أنها اكتسبت

مركزها من مجرد كونها كانت متزوجة من حفيد السير جورج. ولهذا كانت أعلى وظيفة ممكنة لها هي سكرتيرة.

اخذ السير جورج يتأمل وجوه الحاضرين، ثم ربت على يدها وقال: «كلكم تعرفون أرملة حفيدي، السيدة تيريل، ولا شك انكم تساءلتم عن السبب الذي جعلني احضرها إلى المؤسسة وأبقيها بقربي، حسناً، انها ليست هنا لأنني أريدها بقربي، انها كل ما بقي لي في العالم، أسرتي الوحيدة، وأريدها ان تتعلم إدارة الأعمال بسرعة وذلك لكي تصبح مستعدة لأخذ مكاني عندما أرحل.»

تصاعدت شهقات خافتة من كل شخص في الغرفة، بينما شحب وجه جينا واتسعت عيناها وهي تقابل عيني هيزل المجفلتين.

تأخذ مكانه؟ لا يمكن أن يكون جاداً، ماذا يعني؟ انه سيترك لها أسهمه في الصحيفة؟ جعلت هذه الفكرة دمها يجري بارداً في عروقها، كانت بقيت معه بعد موت زوجها، لعدة اسباب... لأنه بحاجة إليها، ثم لأنها كانت وحيدة تعسة، وعلى الأخص لأنهما أحبا، هما الاثنين، جايمس إلى أقصى حد، ما جعلهما عند موته، يبقيان مع بعضهما ابتغاء العزاء والسلوان، لقد أصبح السير جورج هو أسرتها وكل شيء لها في الحياة، ولكن مهما كان تعلقهما ببعضهما البعض إلا أنه لم يخطر في بالها قط انه سيترك لها أسهمه في المؤسسة، كانت ورثت بعض المال من جايمس على كل حال، لقد استثمرتها بعناية ولم تمسها على الاطلاق لأنها لم تكن تحتاج إلى كثير من النقود، فقد كانت تعيش مرفهة في منزل السير جورج، ولم تكن تنفق

النقود إلا على ثيابها وشؤونها الخاصة دافعة ثمنها من راتبها، كان يتملكها شعور غامض بأن السير جورج سيترك ثروته لقريب له، وكان له عدة أقرباء لا يرى منهم أحداً أبداً.

كان له أقرباء في استراليا تلقى منهم رسائل تعزية عند موت جايمس، ولكنهم لم يأتوا إلى الجنازة، ربما عدم مبالاتهم هذه جعل السير جورج غير راغب في جعلهم ورثته.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يشير فيها إلى أنه سيجعلها وريثته، وقد أفزعها هذا، لم تكن تريد منه ان يفعل ذلك، إذ ليس بإمكانها قط مواجهة هذه المسؤولية.

رفعت بصرها وما زالت عابسة بالغة الشحوب لتجد أنها عادت منسية مرة أخرى، لقد كان السير جورج يتحدث عن مسابقة جديدة قد تنشرها سنتنال، وهي محاولة أخرى لزيادة التوزيع واجتذاب المعلنين.

كان يقول لمدير التسويق بيل واطسن: «لست واثقاً من أن قراءنا يهتمون بلعبة البليارد.»

«إننا نتلقى دوماً رسائل تطلب منا نشر المزيد من نتائج هذه اللعبة، إذا شئت ان تلقي نظرة شاملة على النتائج...» ثم انخرط في سلسلة من الاحصائيات. وسرعان ما بدا الدوار على السير جورج، فقاطعه قائلاً: «حسناً، هل نسأل رأي الآخرين؟ من منكم يوافق بيل فليرفع يده.»

كان بيل قد أقنع اكثرهم فارتفعت الأيدي ونظر السير جورج حوله بضيق: «حسناً جداً، تابع المشروع إذن يا بيل، والآن كيف يسير باب الإعلانات.»

أجاب محرر الاعلانات بسرعة: «إننا نتدبر أمر ابتكار أفكار جديدة، والاعلانات تتوافد علينا بشكل جيد جداً.»

فقال مدير الاعلانات بجفاء: «ليس بالسرعة الكافية، أرى ان تبحث عن أفكار في مناطق أبعد، ان الشرق الأقصى هو منطقة اعلانات واعدة.»

فأومأ المحرر موافقاً: «انني أوافقك، وقد صدف أنني...»

نظرت جينا من النافذة إلى السماء الغائمة، متى يأتي الربيع؟ يبدو وكأن سنيناً مضت على آخر مرة رأت فيها الشمس.

بعد ذلك بنصف ساعة، ذهب السير جورج إلى ناديه بينما ذهبت جينا للقاء روز، التي جذبت الأنظار ببنطلون التزلج الأسود الذي ترتديه وكنزتها البيضاء ومعطفها الأحمر الخشن النسيج، بدت أشبه بغلام بجسمها البالغ النحافة وشعرها الفاحم السواد والمقصوص قصيراً جداً وبشكل أشعث.

قالت لجينا: «انك تأخرت.»

«آسفة، فقد كنت في اجتماع داخلي، لكنني استطعت حجز مائدة في المطعم على الأقل.»

عندما وصلتا إلى الباب الرئيسي المؤدي إلى الشارع مر بهما شخص نحيف طويل كاد أن يصطدم بروز، تمتم من فوق كتفه دون أن ينظر إليها قائلاً: «بالفرنسية آسف.»

فصاحت فيه: «هذا حسن، إبطحني في الشارع.»

فالتفت إليها وعندما رآها منحها ابتسامة عريضة متألقة.

كان لمحرر قسم الأخبار الأجنبية رجل روز المفضل، دانيال بروني، لسان كحد السيف، وإذا زاد الضغط عليه يصبح عقرباً، وكان كثيرون في الصحيفة يعتبرونه محرراً لامعاً، ولكنه كان مخيفاً بالنسبة إلى موظفيه، ناداها يقول وعيناه تسخران منها: «ما هي مشكلتك، يا برعمي؟»

ثم اختفى في المطعم، بينما احمر وجهها غضباً وهي تقول: «اذا دعاني برعم مرة أخرى...»

فقالت جينا تنصحها: «لا تهتمي به.»

«من السهل أن تقولي ذلك لأن ليس عليك ان تعملي معه.»

إجتازتا الشارع ثم انعطفتا تدخلان الزقاق حيث المطعم، كان شارع فليت ستريت مزدحماً تماماً، ولكن قبل ان تبدأ المؤسسات الصحفية الانتقال إلى مناطق أخرى من لندن، كان الشارع اكثر ازدحاماً، لقد اختفى اثنان مهمان من معالمها حتى الآن، سوق كوفن غاردن، وشارع فليت ستريت.

قالت روز بصوت أهدأ: «معطفك جميل جداً.»

اخذت جينا تسوّي من القلاب مسرورة: «لقد اشتريته من السويد عندما ذهبت مع السير جورج الشتاء الماضي، انه مريح جداً.»

نظرت روز إلى فرو الاستراغان على اطرافه وقالت: «يبدو روسياً.»

«هذا صحيح.»

كان مطعم شيشاير شيز مزدحماً، كالعادة، ولكن النادل قادهما إلى مائدتهما على الفور، حيث أخذتا تراجعان قائمة الطعام.

قالت لها جينا: «أحب هنا الستيك الانكليزي والكبد، وفطائر محار البحر.»

مطت روز وجهها: «هذا دسم جداً، كلا، سأتناول سمكاً مشوياً، ودون زبدة، هذا مع السلطة.»

طلبت جينا سمكاً، هي أيضاً، ولكن مع خضار مسلوقة، وطلبت الاثنتان شماماً، وشربتا مياهاً معدنية فقط، عندما ذهب النادل، نظرت جينا إلى روز متأملة، وقد لاحظت هالة قاتمة حول عينيها، وتوتراً في فمها غير عادي.

«كلامك كان غريباً على الهاتف، هل حدث شيء يا روز؟»

«لا شيء لا استطيع مواجهته، وعلى كل حال، أنا اكره الحديث عن حياتي الخاصة.»

فضحكت جينا: «آه، فهمت، هل هو رجل؟ انك دوماً سيئة المزاج عندما تقعين في الغرام، أليس كذلك؟»

احمر وجه روز: «هراء، ان لديك افكاراً حمقاء... ثم لاتبدأي في تحليل نفسيتي، ألم تسمعي ما يقال... (لقد مات فرويد)؟»

سألتها جينا بحذر: «من هو يا روز؟ هل أعرفه أنا؟»

«من؟ فرويد؟ كان عجوزاً نمساوياً مهووساً بالنساء. حتى أنت لا بد سمعت عنه.»

ضحكت جينا، ورغم أنها كانت تعلم ان روز تراوغ لاضاعة الموضوع، إلا انها أصرت قائلة: «انك تعلمين من أعنيه، رجلك الجديد.»

فقالت روز باختصار: «انه ليس كذلك، ليس جديداً وليس رجلي.»

قطبت جينا جبينها بحيرة: «ليس جديداً؟ هل يعني هذا

انك تعرفينه منذ زمن طويل؟ هل أعرفه أنا أيضاً؟ ولكن... من هو؟» وأخذت تستعرض في عقلها كل الرجال الذين تعرفهم في الصحيفة. لا بد أنه شخص في القسم الاجنبي، ثم اذا بها تفتح فمها شاهقة: «لا اظنك تعنين دانيال بروني.»

كانت روز قد توهج وجهها الآن بالإحمرار، وتألقت عيناها الزرقاوان غضباً: «هل أنت مجنونة؟ دانيال بروني؟ انني أكره حتى رؤية ذلك الرجل، ودوماً كنت أكرهه حتى عندما كان أبي يقول إنه نابغة.»

سألتها جينا باهتمام: «هل قال ذلك عنه حقاً؟» ربما كان هذا هو السبب في كراهية روز له إلى هذا الحد. لأن والدها الذي يشغفها حباً معجب به.

«حسناً، ان دانيال رجل جيد.»

فقالت روز غاضبة: «ربما، ولكن إذا لم يكف عن مضايقتي فسأقتله يوماً ما.»

الفصل الثالث

دخلت جينا إلى المطعم اليوناني بعد الثامنة مباشرة وقد توهجت وجنتاها من السير في الريح العاصفة، شعرت بالسرور لأنها لا تسكن بجانب البحر أو بجانب أشجار كبيرة، لقد كانت رأت على شاشة التلفزيون صوراً لعاصفة ضربت السواحل وطرقات أقفلتها أشجار السنديان الساقطة.

جعل سوء الجو من الصعب عليها ترك المنزل من دون إثارة فضول السير جورج، وكانت عليها أن تكذب قائلة انها ذاهبة لمقابلة صديقة قديمة من أيام الدراسة، وقد جعلها هذا الكذب تشعر بالضيق.

كان سألها: «هل هي روز إيميري؟»

فأجابت متذكرة فتاة في صفها كانت رحلت إلى نيوزيلاند: «كلا، انها باشي وود. أنت لا تعرفها فقد أمضت في الخارج سنوات.»

كانت الكذبة ما زالت تخنقها عندما تناول النادل اليوناني معطفها وناوله إلى خادم غرفة المعاطف. «تريدين السيد كاسبيان طبعاً، من هنا رجاء.»

كادت تهرب هذه اللحظة، شاعرة بالكراهية للذنب الذي تقترفه والحاجة إلى السرية ... ولكنها لم تستطع الذهاب من دون معطفها، وخجلت من أن تطلب إعادته

إليها، وهكذا تبعت الرجل خلال القاعة المزدحمة الخافتة الضوء، إلى مائدة في كهف متوارٍ في الجدار ما جعلها تشعر بالإرتياح لأنها على الأقل لن ترى أحداً ولن يراها أحد.

قال النادل وهو يحني رأسه: «ضيفتك يا سيد كاسبيان.» فنهض نيكولاس واقفاً، وقال ناظراً في عينيها: «مساء الخير.»

بادلته النظر وقد سمره منظره في بذلته القاتمة اللون وقميصه الأزرق المخطط، حدثت نفسها مرة أخرى بأنه ليس وسيماً، ولكن المشكلة هي أنه كان ينضح بجاذبية الرجولة، قالت متلعثمة بينما النادل يسحب لها كرسياً تهالكت عليه قبل أن تخونها ساقاها، قالت: «آسفة لتأخري.»

قال لها النادل: «هل تريدين مقبلات يا سيدتي؟»

نظرت إليه لا تدري ماذا تقول، فتدخل كاسبيان قائلاً: «هل تأذنين لي بأن اطلب لك شيئاً؟» ثم أخذ يتحدث باللغة اليونانية إلى النادل بسرعة، فابتسم هذا وهو يقول شيئاً بلغته ثم ذهب.

سألته جينا: «ماذا قلت له أن يحضر إليّ؟»

«لا شيء يمكن أن يؤذيك.»

لكن جينا نظرت إليه بارتياب: «لا أثق بك.»

فقال بذلك الصوت الرقيق الساخر: «أعلم انك لا تثقين بي.» لقد عادا يتحدثان بكلام مزدوج المعنى، انها لم تعرف قط بشكل مؤكد ما يعنيه حقيقة، ولكنها شعرت بالخوف، وكان هذا ما أرادها أن تشعر به، كان

نيكولاس كاسبيان ماهراً في حمل الناس على الشعور بعدم الارتياح، فقد كان هذا جزءاً من وسائله لكي يربح اللعبة التي يقوم بها، مهما كان نوع العمل والأشخاص، انه يفقد الشخص اتزانه، ثم ينتقل بسرعة لا يدرك الشخص معها ما كان يحدث إلا بعد فوات الأوان.

أشاحت جينا بوجهها، مقطبة الجبين، حسناً إنه لن يستطيع اخذها على حين غرة... فقد حسبت حساب ذلك.

عاد النادل مع كوب كوكتيل على صينية، أخذ كاسبيان ينظر إليها وهي تذوق السائل الأصفر المتألق بحذر وجدته لذيذ المذاق حقاً. سألته: «ماذا يحتوي الشراب؟»

فهز نيكولاس كتفيه: «اعشاب عطرة، عسل، برتقال، هل أعجبك؟»

«نعم، شكراً، ولكنني سأطلب طعامي بنفسي، إذا لم يكن لديك مانع.»

فضحك وقال: «اتعرفين الطعام اليوناني؟»

قالت وهي تنظر إلى قائمة الطعام: «نعم، سأطلب بندورة محشوة، ثم كباب لحم خروف مع سلطة يونانية وخبز.»

طلب نيكولاس لنفسه وجبة أدسم قليلاً، ثم توارى النادل تاركاً إياهما بمفردهما، كان الكهف الذي يحتوي على مائدتهما خافت النور ليس مكشوفاً لمائدة أخرى، بينما موسيقى يونانية ناعمة تتماوج في الجو تخفي احاديث الزبائن، وأخذت جينا ترشف شرابها منحنية الرأس.

سألها بجفاء: «ماذا قلت للسير جورج؟»

فقالت عابسة: «إنني ذاهبة لرؤية صديقة قديمة، جعلني هذا أشعر بالضيق فأنا أكره ان اكذب عليه، أنا واثقة من ان الشعور بالذنب ظهر على وجهي.»

فقال ببطء: «ربما ظنك خارجة للقاء حبيب.» فاحمر وجهها، وكان هذا عادة فيها منذ المراهقة لم تتغلب عليها فكانت تكرهها جداً.

قال برقة: «هذا اللون يناسبك.» وعندما ازداد احمرار وجهها قال يغيظها: «عنيت لون ثوبك طبعاً.»

فقالت بجمود: «اشكرك.» كانت أمضت ساعة في تقرير ماسترتديه، وأخيراً استقر عزمها على ثوب حريري أخضر، كان بسيطاً أنيقاً يلائمها تماماً.

مال على المائدة ينظر في عينيها: «لونه يجعل اخضرار عينيك اكثر دكنة.» كان يغازلها، ولكن هزلاً خبيثاً كان يكسو ملامحه لأنه كان يعلم أنها لم تشأ ان تقوم بلعبة من هذا النوع، خفضت بصرها، وبعد لحظة جاء النادل، فأشرق وجهها: «آه، جاء الطعام.»

فضحك نيكولاس بصوت خافت وقال: «يا لها من نجدة.»

تجاهلت سخريته، وحصرت اهتمامها بالبندورة المحشوة بالأرز والأعشاب، اما كاسبيان فكان يأكل سمكاً غريب الشكل مغموراً بمرقة وردية اللون.

سألها فجأة: «هل استمتعت بغدائك مع روز إيميري؟» فاجفلت ونظرت إليه بدهشة: «ما أدراك بأنني تناولت غدائي معها؟»

«وهل كان ذلك سراً؟»

«كلا، بالطبع، ولكن...» لم يعجبها معرفته بشؤون حياتها، حتى أمس، لم تكن تعرفه قط، ان علمه بكل شيء هو امر كبير.

سألته: «هل تعرف روز؟»

«أعرف والدها ديسموند إيميري، لقد اشتغل عندي سنة في الواقع، وذلك في إحدى صحفي الإيطالية.»

عادت تسأله: «كم صحيفة لديك؟»

هز كتفيه: «آه، عشرون لكنني لا استطيع ان اعطيك رقماً محدداً بالنسبة للصحف الإقليمية، إنني لا أنفك عن طلب المزيد منها، وهكذا عددها يتغير طوال الوقت.»

استوعبت حديثه بصمت، وهي تأكل، بينما أخذ نيكولاس يتحدث عن والد روز الشهير. «كان يريد أن يعيش في روما فترة لكي يؤلف كتاباً عن السياسة الإيطالية منذ الحرب، فعمل عندي بكتابة مقالين اسبوعياً ليتمكن من الإنفاق على نفسه أثناء وجوده هناك، كان كتاباً عجيباً كذلك ... ماذا كان اسمه؟ آه، نعم، مشاهد ايطالية، هل قرأته؟»

هزت رأسها: «قرأت اثنين من كتبه ولكن ليس هذا الكتاب.»

فقال بجد: «انه كاتب ممتاز، وقد كنت فخوراً بعمله عندي. لقد كان دوماً مثلي الأعلى، فه متعدد المواهب، صحافي كبير وكاتب واكثر من ذلك أن لديه عقلاً نيّراً دوماً كنت أشعر بالرهب منه.»

«روز تفتخر دوماً بكونها ابنته.»

قالت جينا ذلك عالمة انها تبسط من مشاعر روز، فالإفتخار هو جزء منها، ولكن كونها ابنة ديسموند إيميري لم يكن أمراً بسيطاً.

لوى نيكولاس كاسبيان شفتيه: «ولكن من الصعب العيش بمقتضى ذلك.» وكانت افكاره تماثل افكارها.

عادت تسأله: «كيف علمت أنني تناولت الغداء مع روز؟»

«كنت أتغدى في نادي الصحافة فصادفت هناك دانيال بروني.»

حملقت جينا فيه وشهقت بشكل لا إرادي، وهي تقول: «أوه...» فألقى عليها نظرة عنيفة متفحصة.

«والآن، أتساءل عما يجعل لذكر اسمه مثل هذا التأثير عليك.»

شعرت بوجهها يتوهج مرة أخرى، فحولت نظراتها عنه: «إذن دانيال هو الذي اخبرك بأنني كنت ذاهبة مع روز؟»

«نعم، ما مقدار معرفتك بدانيال؟»

سألته وهي تتساءل عما إذا كان دانيال هو الذي يسرب إليه أخبار ما يجري في سنتنال، سألته بقولها: «كيف تعرفت إلى دانيال؟»

هل من الممكن أن يفعل دانيال ذلك؟ انها لا يمكن ان تصدق هذا، ان بإمكانها ان تقسم ان دانيال لديه من الكرامة والكبرياء، كأغلب الفرنسيين، ما يمنعه من ذلك، من غير الممكن ان يبيع دانيال بروني مخدومه، فهذا يجعله يرى نفسه حقيراً.

كان في الثلاثينات من عمره، بالغ النحافة سريع الحركة ، ذا شعر اسود جعد وبشرة سمراء وعينين سوداوين حادتين، ولد في مونتريال من أسرة فرنسية فنشأ يعرف لغتين الذي قد يكون منحه البداية، إذ أنه انتهى بمعرفة تسع لغات تتراوح إجادته لها بين القوة والضعف، كان لدانيال ذهن بحدة السيف، وهو عنيف في الجدال، ذو طاقة وحيوية بالغتين، دوماً كان أوروبياً ملتزماً، شغوفاً بالبلاد الأخرى، نال جائزة افضل مراسل أجنبي قبل ان يستقر أخيراً وراء مكتب التحرير في قسم الأخبار الأجنبية في لندن.

قال نيكولاس بلهجة باردة: «انني اعرف دانيال لأنه كان يعمل عندي في باريس، بقي سنة واحدة، ولم أقابله سوى مرة واحدة حينذاك، في مؤتمر دولي، ولكن كان واضحاً منذ البداية أنه رفيع المستوى، وقد بقيت عيناي عليه منذ ذلك الحين أملاً في استعادته.» وألقى عليها نظرة عنيفة أخرى من عينيه الثاقبتين: «هل أنت كذلك؟»

سألته بارتباك: «ماذا؟»

«واضعة عينيك عليه؟»

فقالت باستياء: «هل لك أن تتوقف عن توجيه اسئلة شخصية إليّ؟» ما الذي جعله يظنها مهتمة بدانيال؟ هذا لا يعني انها ستنكر ذلك، كلا فهي لن تريحه من هذه الناحية، فهو بقي يشير إلى انه لم يكن هناك رجل في حياتها منذ وفاة جايمس وهذا اكرهته جداً منه لأنه كان صحيحاً، جاء النادل بالنوع الثاني من الطعام والذي كان لذيذاً تماماً.

لم يتحدثا كثيراً أثناء الطعام، لكن عندما رفع النادل الأطباق الفارغة وأحضر لهما قائمة الحلويات، قال نيكولاس ببرودة: «كنت أراقب روز إيميري، كذلك، وباهتمام كبير، ولهذا سألت دانيال عن رأيه في عملها منذ التحقت بقسم الأخبار الأجنبية في سنتنال، وهذا هو السبب في انه اخبرني بأنها تناولت الغداء معك اليوم.»

فقالت: «لم يكن دانيال يريد روز في قسم الأخبار الأجنبية، ألم يخبرك بذلك؟»

فأومأ لاوياً شفتيه: «ذكر ذلك نعم، لم يكن يراها على خبرة كافية أو ناضجة في السن ما يتناسب مع وظيفة مراسلة أجنبية.»

«هذا عذر فقط، ان هنالك اسباباً أخرى، أولاً لانها امرأة، ودانيال لا يعتبر وظيفة مراسلة أجنبية مناسبة للنساء إذ أنها غير آمنة.»

فقال بلهجة لينة: «هنالك شيء كهذا.»

«لا أتفق معك في هذا، فقد أمضت روز خمس سنوات تعمل في الخارج.»

«كان هذا في بلاد آمنة مثل فرنسا.»

«لقد عاشت في كل أنحاء العالم، فدوماً كانت تسافر مع والدها إلى البلاد الأجنبية، وعلى كل حال هنالك كثيرات يعملن مراسلات اجنبيات هذه الأيام، كلا، ان غرضه الحقيقي من إبعادها هو أنه وروز لم ينسجما قط. والآن وهي تراه يعرق وظيفتها، إزدادت كراهية له.»

فقال: «كان يعمل مع والدها ديسموند في مونتريال ثم في باريس، فهو يذكره دوماً ببالغ التبجيل والاحترام،

ولكنني لا أدهش إذا هو ظنها تريد أن تستعين بشهرة والدها لكي تصل إلى ما تريد، فلم يعجبه هذا.»

«هذا غير صحيح، فقد كانت روز تعمل كالمجنونة لكي تصل إلى مكانها الحالي، انها تستحق تلك الوظيفة.»

ابتسم لحماستها: «أنا واثق من ذلك.»

فاحمر وجهها: «انني معجبة بالطريقة التي شقت بها طريقها بكل عناد، الأمر لم يكن سهلاً، اذا كان هذا ما يظنه دانيال، لقد ماتت أمها في طفولتها وعندما كبرت قليلاً وضعها والدها في مدرسة داخلية حيث تعرفت أنا عليها، كنا في نفس الصف ويتيمتي الأم، نحن الاثنتين، وكان هذا ما ربط بيننا.»

قال وهو يتأملها باهتمام حقيقي: «هذا ما أتصوره.»

كانت جينا نسيت عدم ثقتها به، فابتسمت قائلة: «انني أتذكر كيف كانت تغيب كل صيف عند والدها في أي منطقة في العالم يكون حينذاك، كنا جميعاً نحسدها بجنون، كانت حياتها تبدو رائعة وهي تزور أماكن الحروب ومناطق القلاقل والمشاكل. كان أبي موظفاً في سنتنال عند السير جورج، ولكنه كان محاسباً وليس مراسلاً، ولم نغادر لندن قط إلا إلى فرنسا أو اسبانيا.»

سألها وهو ينظر إليها بحدة: «هل هكذا تعرفت إلى زوجك؟ لأن والدك كان يعمل عند جده؟»

تاهت عيناها في الذكريات، كانت ذكرياتها صافية واضحة في العادة، ولكنها الآن اخذت تغيم مع مرور الزمن ويطويها النسيان، كانت تظن أنها لن تنسى قط لحظة واحدة من ذلك المساء، فكان يؤلمها انها لم تعد تذكر الآن سوى

القليل منه. «لقد تعارفنا في حفلة العيد السنوية التي يقيمها موظفو سنتنال، وكان ذلك في فندق باركلين في قاعة الاحتفالات الفسيحة بثرياتها المتألقة فوق الرؤوس، كان جايمس قد ذهب إلى تلك الحفلة لأول مرة وكذلك أنا.»

كانا في نفس العمر، والاثنان حديثي السن، جذبهما شبابهما إلى بعضهما البعض على الفور، إذ كانا يشعران بالحرج بين تلك الجموع من الصحافيين والسكرتيرية والمصورين ورجال الاعلان... كلهم اكبر منهما سناً وخبرة وثقة في النفس.

إخترق صوت نيكولاس الساخر مبدداً شرودها ما جعلها تجفل: «يا لها من مناسبة شاعرية.»

فقالت متحدية: «نعم، كانت كذلك.» لم يكن يتعالى عليها أو يهزأ من ذكرياتها، لقد تزوجت جايمس لأنها أحبته وكانا سعيدين معاً، ولكن نيكولاس كاسبيان لا يبدو عليه أنه من النوع الشاعري أو القابل للزواج، انه يخرج فقط مع عارضات الأزياء السويديات المتألقات كتلك المتصورة معه في الصحيفة، أم لعله متزوج فعلاً وكريستا نوردستروم هي صديقته؟

إندفعت تسأله: «هل أنت متزوج؟» ثم عضت شفتها وقد احمر وجهها.

نظر إليها بتسلية: «عجباً، ما الذي جعلك تلقين هذا السؤال؟ كلا، أنا لست متزوجاً، وهكذا يمكنك أن تكفّي عن القلق.»

فقالت باستياء: «ولماذا أقلق؟» ولكنها في اعماقها كانت تتساءل عن نوع العلاقة بالضبط التي تربط بينه وبين

عارضة الأزياء السويدية الرائعة الجمال، هل هي علاقة جادة، وهل مضى عليهما وقت طويل معاً؟

سألها بسخرية واضحة: «كم يبلغ عمرك؟» ثم ومن دون انتظار لجوابها عاد يسأل: «كم كان عمرك عند زواجك؟»

حملقت به قائلة: «لا أدري لماذا نستمر في الحديث عن حياتي الخاصة، يا سيد كاسبيان.»

أجاب يغيظها: «ولكنك كنت تتحدثين عن حياتي.»

ردت عليه بحدة: «حسناً، هل لنا أن نتحدث عن العمل؟ قلت انك تريد ان تتحدث عن مشاكل السير جورج المالية، فهل لنا أن نبدأ؟»

جاء النادل في هذه اللحظة فطلب منه نيكولاس إحضار قهوة يونانية، أسرع الرجل ليحضرها بينما اتكأ نيكولاس بمرفقيه على المائدة نحوها وراح يتأملها بفضول، بادلته النظرات تنتظر بضيق وفروغ صبر ما سيقول.

وأخيراً قال وعيناه المغناطيسيتان تتألقان تحت شعره الأسود: «يمكنني أن أحل مشاكل السير جورج المالية بجرة قلم، فالحل المثالي كما أراه أنا طبعاً هو شراء معظم أسهم صحيفته، جميع الخمسين في المئة، وهذا يمنحني السيطرة الكاملة على الفور.»

شهقت بذعر، ولكنه استمر يقول: «عند ذلك يمكنني إدخال رأسمال جديد في المؤسسة، ودفع قرض البنك وتحمل مسؤولية أي تباطؤ في الوقت بين ترك المبنى القديم وبيعه، كما انني طبعاً، أتعهد بالانتقال إلى المجمع الجديد باربري وارف.»

فانفجرت تقول بمرارة: «لقد كان الرجل العجوز على

صواب إذن عندما قال انك وحش لا رحمة في قلبه...» ووضع يده على فمها فكادت تعضها وهي تقول: «دعني.»

فقال بغلظة وقد غابت ابتسامته: «انتظري لحظة قبل أن تطلقي عليّ كل الأسماء التي تحت الشمس.»

حملقت إليه بغضب بينما تابع هو يقول: «قل إن هذا هو الحل المثالي الذي أراه، ولكنني مدرك أن من غير المحتمل ان يوافق السير جورج على ذلك، وبدلاً من ذلك اتقدم بتسوية، معاهدة تصون ماء الوجه حيث أقدم مبلغاً ينعش رأسمال المؤسسة واظفر بمقعد في مجلس الإدارة مع صوت قوي في سياسة المستقبل، والحق في القيام ببعض التغييرات الإدارية بين الموظفين.»

حدقت جينا إليه مترددة، فأنزل يده التي تقفل فمها وهو يرفع حاجبيه مستفهماً: «حسناً، اتظنينه يقبل بذلك؟»

سألته ببطء وهي تتفحص وجهه القاسي الملامح طلباً للاطمئنان: «هل أنت جاد؟ أعني هل هذا عرض تريدني أن أتقدم به إلى السير جورج؟»

«هذا ما أردتك ان تقابليني لأجله، هل لك ان تكوني واسطة بيننا؟ ان السير جورج حالياً أشبه بكلب يجلس على شوك، فهو يتألم ولكن العناد يمنعه من الانتقال من مكانه. ولكنه سيصغي إليك، إذن فهذا هو الذي اتقدم به إليه. وسأنتظر باهتمام، لأسمع انه مستعد للحديث عنه.»

عاد النادل بالقهوة اليونانية البالغة الحلاوة، فأخذت جينا ترشفها بحذر.

وعندما أصبحا وحدهما مرة أخرى، قال نيكولاس بهدوء: «ويمكنك ان تطمئني إلى انني عرضت عليك بياناً

صادقاً بما أنوي، المحامون والمحاسبون عندي ستصيبهم رجفة دون شك إذا سمعوا ما أقوله.»

«وما يدريني أن بإمكاني الثقة بك، يا سيد كاسبيان؟»

فقاطعها يقول: «ألم يحن الوقت بعد لتناديني باسم نيكولاس؟»

«لكننا لم نجتمع سوى اليوم!»

فقال بصوت خافت حميم: «هل كان ذلك اليوم فقط؟» فشعرت بقشعريرة تنساب في ظهرها. لقد فكرت بمثل ذلك مرة أو مرتين، هل حقاً لم يعرفا بعضهما البعض إلا منذ ساعات؟

قالت بصوت أبح: «نعم، لا أدري عنك، يا سيد كاسبيان، ولكنني لست عمياء ولا غبية إزاء كل كلامك عن توخيك الصراحة، أليس صحيحاً أن هدفك البعيد هو الإطاحة بالسير جورج إلى خارج مؤسسته واخذها لنفسك؟»

فقال معترفاً: «هذه كانت نيتي الأساسية.»

تمتمت تقول: «وهذا ما يجعلك عدواً له.»

ضاقت عيناه الرماديتان: «ويجعلك عدوة لي؟»

قالت مراوغة: «انني أحب الرجل العجوز كثيراً.»

فتمتم لاوي الشفتين: «اصدقاؤه اصدقاؤك، وأعداؤه اعداؤك؟ انك بالغة الوفاء أليس كذلك؟ أرجو ان يكون الرجل العجوز يعلم أي حليف أنت لديه. الرجل العجوز... أليس هذا هو الاسم الذي تدعينه به في عقلك؟ وأنت على حق، فهو رجل عجوز، عجوز جداً، اكبر من أن يتمكن من إدارة مؤسسة كبرى.»

كان كلامه مقنعاً تماماً، ولكنها أخذت تجادله. «انه ليس

المدير المنفذ وإنما هو رئيس مجلس الإدارة، فهو لا يتدخل في إدارة اعمال الصحيفة يومياً، ان جو ماكينلي، هو المدير المنفذ.»

فهز كتفيه ساخراً: «خادم السير جورج المطيع؟ انك تعلمين تماماً انه هناك فقط للقيام بالأعمال الرتيبة، انه حمار شغل دون تفكير، فهو يحفظ روتين العمل عن ظهر قلب، ولكن ليس لديه استعداد طبيعي أوميل عفوي، قد يكون السير جورج منحه المركز ولكنه لم يمنحه النفوذ، مبقياً ذلك في يده، كعادته على الدوام، ان لديه القسم الأكبر من الأسهم، المؤسسة تدار حسب رأيه، وهو يختار الرجال الذين يديرونها صورياً.»

كان هذا اكثر من صحيح... ولكن كيف علم هذا كله؟

سألته بغضب: «من يكون جاسوسك في سنتنال، يا سيد كاسبيان؟ أتعلم ما قاله لي السير جورج عنك؟ انه يسميك الاخطبوط ذا الأذرع الممتدة في كل مكان، وكان على صواب، أليس كذلك؟ انني لم اعرفك إلا منذ ساعات قليلة، ولكنني اكتشفت مبلغ قسوتك، انك تدفع نقوداً إلى شخص ما لكي يخبرك بأسرار سنتنال.»

اخذ يتأملها لحظة ثم سألها: «أحقاً انا كذلك؟ ما الذي جعلك تظنين ذلك؟»

فقالت ساخرة: «انت يا سيد كاسبيان، فقد اخذت تتباهى أمامي باتصلاتك الواسعة في أعمال الصحيفة، انك تعرف كل شخص، كما اخبرتني، حتى في سنتنال... روز ووالدها، دانيال وجو ماكينلي، هل واحد منهما هو جاسوسك؟»

فقال ساخراً: «ان لك ذهناً مسرحياً تماماً.»

فاحمر وجهها: «ربما، ولكنك اعترفت بأنك لا تنسى وجه شخص عرفته إذ قد يكون مفيداً لك، حتى ولو كانوا يعيشون في قارة أخرى، اظنك تستغل احد الموظفين، فمن هو إذن الذي يبيعنا في سنتنال؟»

فقال بهدوء دون ان ينكر أياً من اتهاماتها: «عالم الصحيفة هو عالم صغير، الناس في مهنتنا يتنقلون كثيراً، فهم لا يبقون في الصحيفة إلى الأبد، حتى انهم لا يستقرون طويلاً في بلد واحد، فهم لا ينفكون عن التنقل ما بين أوروبا، واميركا، واستراليا وهونغ كونغ، إلى انكلترا، وفي كل ربيع يبدأون بقراءة صحف الاعلانات يبحثون عن وظيفة جديدة، فالعشب دوماً يبدو اكثر اخضراراً في الأمكنة الأخرى. وإذا كانوا جيدين، حتى وان لم يكونوا كذلك، فليس من الصعب تغيير وظائفهم، وصاحب الصحيفة الجيد، وأنا واحد منهم، ولن اكون متواضعاً بالنسبة لهذا، صاحب الصحيفة لا ينفك عن البحث عن المواهب ولا ينسى قط إسماً يستحق التذكر، فما الخطأ في هذا؟»

فقالت متهكمة: «يبدو هذا رائعاً، ولكن ما يعنيه هو انك تستغل الناس، وأنت تحاول أن تستغلني الآن، انني لست غبية، أنا أعلم ما تفعل ولن أدعك تستغلني للوصول إلى الرجل العجوز، انني لا أثق بك أو بعرض التسوية الذي تقدمه، أظن ان ما تريده حقاً هو وضع قدمك عند الباب، وببطء وثبات تدفع نفسك إلى الداخل، وبعد ذلك الويل لكل من يقف في طريقك، فأنت ستسحق الرجل العجوز دون تردد، حسناً، لن أساعدك على ذلك.»

ثم نهضت واقفة بسرعة كادت تطيح بالمائدة، ثم سارت مبتعدة، تاركة كوب قهوتها نصف فارغ، وجد خادم غرفة الملابس معطفها في نفس الوقت الذي كان نيكولاس كاسبيان قد وصل فيه اليها، كانت ترجو ان يتأخر أثناء دفعه للحساب، ولكن يبدو أنه وقع القائمة بإمضائه فقط.

تناول المعطف من الخادم بصمت، ومضى يساعدها على ارتدائه، أدخلت ذراعيها في الكمين، شاعرة بوجوده خلفها، لكنها استطاعت ان تحول وجهها عنه ملتزمة بالصمت.

فتح النادل لهما الباب، فاندفعت خارجة منه بسرعة كادت تصطدم معها بشخص وصل لتوه، تمتمت دون أن ترى الشخص «آسفة.»... وإذا بها تجمد مكانها.

«مرحباً، يا جينا، لم أرك منذ دهور.»

قالت ذلك المرأة التي اصطدمت جينا بها والتي عرفتها هذه وقد غاص قلبها بين جنبيها، كانت امرأة يقظة متوثبة في حوالي الخمسين من العمر، ذات وجه مصبوغ بإفراط وشعر فضي مجعد، بينما تلف حول عنقها عقداً طويلاً من اللؤلؤ وترتدي سترة فراء قصيرة.

«كنت اتحدث إلى جورج هذا المساء، ودعوته إلى حفلة ساقيمها مساء السبت، تعالي أنت أيضاً يا جينا.» وأثناء كلامها كانت عيناها تنظران من فوق كتف جينا إلى الرجل الذي خلفها.

قالت جينا بخشونة محاولة الإستمرار في طريقها: «اشكرك يا لورا، سأعطيك علماً.» ولكن لورا ديلي لم تسمح لها بالهرب.

كان السير جورج يسميها (الأرملة الطروب) وكان هذا اللقب يناسبها تماماً، كانت فقدت زوجها منذ حوالي الخمس سنوات، ومنذ ذلك الحين وهي تستمتع بالحياة بكل ما بإمكانها، حضرت حفلات لا تحصى، وهي موجودة في حفلات افتتاح الأفلام على الدوام، كما كانت تعشق المطاعم الجديدة الناجحة والذي كان هو السبب في وجودها هنا الليلة.

سألتها: «من هذا الذي معك؟»، ثم ودون انتظار لجوابها. «انه نيكولاس كاسبيان أليس كذلك؟» وابتسمت وهي تمنحه ابتسامة متألقة.

قال نيكولاس ببطء: «هذا صحيح، ألن تعرفيني بصديقتك الجميلة، يا جينا؟» وبدت في في عينيه التسلية.

أحبت لورا منه ذلك، فمدت إليه يداً مثقلة بالخواتم: «انك أعجبتني يا سيد كاسبيان، أو... هل يمكنني أن أدعوك نيكولاس؟»

فقال متزلفاً: «نعم، أرجوك، يا لورا.» وتساءلت جينا بغضب لماذا لا تشعر لورا ديلي بالنفاق في كل كلمة يقولها؟ طبعاً، لقد أحبت هذا الكلام إلى درجة لم تشأ معها أن تفكر في ما اذا كان يعني ما يقول، لكن جينا كانت تكره الإصغاء إليه لأنها لم تكن تثق بما يقول.

خفقت لورا بأهدابها المثقلة بالماسكارا وهي تنظر إليه قائلة: «هل كنتما تأكلان هنا؟ وهل الطعام هنا جيد كما تقول الدعاية؟»

فقال: «انه ممتاز، لقد استمتعنا بالطعام هنا، أليس كذلك يا جينا؟»

فأشاحت جينا بوجهها دون أن تجيب، أطلقت لورا ضحكة صغيرة ثم قالت: «اخبرني السير جورج انك تتعشين مع صديقة قديمة لك من أيام الدراسة، يا جينا.»

شعرت جينا بعيني نيكولاس الساخرتين فلم تلتفت إليه، بل قالت للورا بجمود: «انه مخطىء.» فأطلقت هذه ضحكة أخرى: «هذا ما أراه، يا فتاتي المشاغبة، آه، لا تقلقي فلن اتلفظ بكلمة، ان سرك في مكان أمين عندي.»

أخذ مرافقها، وهو رجل عسكري المظهر في الستينات من عمره، أخذ يتنحح باستياء: «لقد بردنا من الوقوف في الخارج هنا، يا عزيزتي، ألا تظنين أن دخولنا أفضل؟»

«نعم، يا عزيزي، إنني قادمة.» ومنحت نيكولاس ابتسامة وهي تقول: «تفضل مع جينا إلى حفلتي مساء السبت، أو تفضل وحدك بدونها إذا لم تستطع هي القدوم، انني أسكن في فارتن كورث، بعد هذا المكان بشارعين، شقتي في الطابق الأرضي، وستعثر عليها بسهولة، مساء السبت الساعة الثامنة، تعال في أي وقت فالحفلة ستستمر ساعات.»

ثم ذهبت فاتجهت جينا نحو المنعطف غاضبة للغاية، شاعرة بالارتياح لقرب وصولها إلى منزلها، ولكن نيكولاس لحق بها بخطوتين واسعتين، رأت الهزل في عينيه فتملكها الإستياء.

قال: «يا لها من امرأة فاتنة.»

فأجابت بلهجة لاذعة: «نعم، النوع الذي يعجبك بالضبط.»

فقال بحدة: «آه، تلك كلمة كريهة.»

«وأنت تستحقها.»

«انك حقاً لا تحبينها، أليس كذلك؟»

فقالت بمرارة: «أرجو ان تتصل بك هاتفياً ليلاً نهاراً كما تفعل مع السير جورج، ليس من السهل التخلص من لورا ديلي إذا هي انشبت صنارتها فيك.»

سألها رافعاً أحد حاجبيه متهكماً: «وهل هي تطارد السير جورج؟»

«انها تطارد كل رجل تتعرف إليه.»

اخذت جينا تسرع في سيرها عندما بدا لها البيت الذي تسكنه مع السير جورج، كان واسعاً أنيقاً فخماً.

رأت النور مضاءً في نافذة غرفة السير جورج، كان عليه أن يكون في فراشه الآن ما دامت الساعة بعد العاشرة، فهو دوماً ينام باكراً اذا كان في البيت، انه ما زال يعيش تبعاً للقول المأثور (نم باكراً واستيقظ باكراً) فهو يستيقظ دوماً في السابعة، وغالباً ما يكون في مكتبه في الثامنة، هذا اذا لم يذهب إلى باربري وارف ليرى سير البناء.

أمسك نيكولاس بذراعها مرغماً إياها على الوقوف، وهو يقول: «لماذا أنت غاضبة؟»

التفتت تحملق فيه: «سيد كاسبيان، لقد نلت الكفاية من صحبتك هذا النهار، منذ اللحظة التي رأيتك فيها، أدركت انك لا تعجبني، والآن كل ما أريده هو أن أصل إلى بيتي وأنسى كل شيء عنك.»

تقلص وجهه وكأنها صفعته، بينما انتزعت هي ذراعها منه ثم ركضت، وهذه المرة لم يتبعها.

ولكنها في غرفتها استلقت على سريرها مستيقظة مدة طويلة شاعرة بالإنزعاج والضيق، لم تتصور لحظة واحدة

انه سيتخلى عن رغبته في صحيفة سنتنال، وإذا كان فشل في إقناعها بمساعدته، فهو دون شك سيعثر على شخص آخر يساعده في ذلك، ذلك أن نيكولاس كاسبيان هو عدو عنيد، وقد اعتاد على الفوز بما يريد.

حدثت نفسها بأنها تكرهه، وكان هذا صحيحاً... ولكن كاكثر الأشياء لم يكن ذلك سهلاً، لقد كرهته بسبب ما يريد أن يفعله بالرجل العجوز، ولكنها لم تستطع التوقف عن التفكير فيه، كرهته لأنه يكذب عليها ويحاول استغلالها، ولكنها كلما تذكرت صوته الأبح، وسحر ابتسامته، كانت تشعر بقلبها يخفق.

الفصل الرابع

لم تحضر جينا اجتماع مجلس الإدارة، ولكنها وهي تحرر مع هيزل بعض الرسائل التي يجب أن تذهب بالبريد هذا الصباح، كانت لا تنفك عن النظر إلى الساعة بقلق، كان هذا أطول اجتماع لمجلس الإدارة مر بها، ما الذي يحدث في قاعة الاجتماعات؟ كانت ساعدت هيزل على إعداد القاعة، ناظرة طوال الوقت إلى صور آل تيريل المعلقة على الجدران، وقد بدوا جميعاً غاية في الأهمية بشواربهم الضخمة ونظراتهم المتغطرسة إليها، لم يجذبها شكلهم، ولكنهم كانوا يوحون بثقة منيعة للغاية.

سألتها هيزل: «ماذا في ذهنك؟»

«ماذا قلت؟»

«انك تواصلين النظر إلى الساعة، هل تتوقعين اتصالاً هاتفياً مثيراً؟»

فقالت جينا وقد احمر وجهها: «كلا، لا أتوقع هذا.»

«أمازلت تقابلينه؟»

فقالت جينا كاذبة: «لا أدري عمن تتحدثين.» ذلك أنها كان تعلم جيداً أن هيزل تتحدث عن نيكولاس كاسبيان، لم تره منذ أسبوع منذ ذلك العشاء في المطعم، لقد بقيت تحدث نفسها بأنها مسرورة لأنه تبلّغ الرسالة، وتركها وشأنها، ولكنه لم يبارح ذهنها قط، كانت لا تكاد

تعرفه، وما عرفته عنه لم يعجبها... فلماذا لم تستطع نسيانه؟

قالت هيزل ضاحكة: «آه، دعك من هذا، فأنت تعلمين جيداً من أعني، ماذا قلت اسمه؟»

«لم أقل شيئاً، هل لنا أن نتابع عملنا؟ سرعان ما تحل ساعة الغداء.»

نظرت هيزل إلى ساعتها: «هل تأخرنا إلى هذا الحد؟ لا بد أن الاجتماع قد انفض الآن مهما كانت المواضيع التي يتحدثون فيها كثيرة، لقد مضت عليهم ساعات.»

لم تستطع جينا أن تمنع آهة صدرت عنها، فنظرت إليها هيزل بحدة: «ما الذي حدث، يا جينا؟ ثمة شائعات كثيرة في المكان، كما تعلمين...»

«ما كان لك أن تصغي إليها.»

تشنج جسم هيزل إزاء لهجة جينا الغاضبة، مهما كانت الصداقة التي تجمع بينهما، إلا ان من المستحيل على هيزل أن تنسى أن جينا من أسرة تيريل، وجينا نفسها لا تنسى هذا، فإذا شعرت بشخص يتجاوز حدوده معها، سرعان ما يتلقى منها التعنيف الذي يستحق.

قالت هيزل بشيء من البرودة: «دوماً اقول لهم ان نشر الأقاويل هو انعدام في المسؤولية، إنني لا أشجع ذلك.»

ألقت جينا عليها نظرة اعتذار سريعة: «آسفة يا هيزل، لم يكن في نيتي إظهار الحدة في صوتي، كل ما في الأمر هو انني قلقة...»

أخذت هيزل تنظر إليها بعطف، دوماً كانت تشعر بالأسى لأجل جينا، إذ رغم الرفاهية التي تعيش فيها، لا بد أنها

تشعر أحياناً بالوحدة، وهي تعيش في ذلك المنزل الكبير وحدها مع رجل عجوز، انها مازالت صغيرة السن وما كان لها أن تعيش بهذا الشكل.

قالت هيزل برقة: «أعلم هذا، فالمؤسسة تعاني من مشكلات، وهذا كله بسبب باربري وارف، والوقت الذي استغرقه البناء! أنا اعلم ان السير جورج قلق بشأن النفقات، فهو لا ينفك عن الاجتماع بالمحاسبين والمحامين، ومن الواضح ان هناك قلقاً بشأن المال، ولكن المؤسسة مازالت صامدة والوظائف آمنة.»

لقد أبقاها السير جورج هي أيضاً في الظلام كما فعل مع جينا، لقد حمل العبء وحده، وهو لم يكن يريدها أن تمنح هيزل ولو إشارة إلى ان تلك الشائعات صحيحة.

قالت جينا: «انا واثقة من انك على حق.» لقد فكرت في أنه ولو حدث الأسوأ، فان سكرتيرة في كفاءة هيزل لن يستعصي عليها العثور على وظيفة أخرى، وفي الواقع، أي شخص سيستلم الصحيفة لا بد أن يجدها مفيدة تماماً، وفكرت جينا بمرارة في شكل هيزل إذا هي اخبرتها بأنها، هيزل، قد تجد نفسها يوماً ما تشتغل تحت إمرة نيكولاس كاسبيان. من الواضح انها وجدته جذاباً للغاية.

أشرق وجه هيزل بالابتسام: «حسناً، أنا مسرورة بالنسبة لهذا.»

وإذا بالسير جورج يدخل متمهلاً، متكئاً على عصاه. ألقت عليه جينا نظرة سريعة متفحصة، فانتبهت إلى شحوبه وخطوط الانهاك على وجهه.

قالت هيزل مسرورة وهي تجمع كومة الرسائل: «ها قد

انتهى الاجتماع أخيراً، أصبحت الاجتماعات أطول يوماً بعد يوم.»

فقال مكتئباً: «نعم، أحضري لي شيئاً أشربه يا جينا، من فضلك.»

تبادلت الفتاتان النظرات، ثم عادت هيزل تقول: «ان لديك موعداً للغداء بعد نصف ساعة مع أصحاب شيلتون تراست، لقد تركت قائمة بالمخابرات الهاتفية الهامة التي جاءت في غيابك، وذلك على مكتبك هنا، ليس بينها ما يتطلب رداً عاجلاً، ولكن الثلاثة الأوائل بحاجة إلى جواب هذا النهار، أتريد مني القيام بأي شيء قبل الغداء يا سير جورج؟»

هز رأسه نفياً، ثم غاص في مقعده الجلدي، وهو يمد يده ليتناول كوب الشراب الذي احضرته جينا، خرجت هيزل بهدوء مغلقة الباب خلفها بينما وقفت جينا خلف الرجل العجوز، واضعة يدها على كتفه تخفف عنه.

ثم سألته: «ماذا حدث؟»

تمتم يقول: «انه أصعب اجتماع عرفته على الاطلاق، انك تظنين، وانت تستمعين إليهم، أنني في سبيلي، متعمداً لتدمير المؤسسة، حسناً، انهم خائفون فمعظمهم لهم أسهم في المؤسسة ويخافون من خسارتهم أموالهم، لكنني أنا الذي عينت كلاً منهم في مجلس الإدارة، كما تعلمين، كنت أظن بعضاً منهم اصدقاء لي، ولكن يبدو انك لا يمكن أن تثقي بأحد، ولن يدهشني إذا هم اتصلوا جميعهم بنيكولاس كاسبيان اليوم.»

أجفلت مذعورة، ثم قالت بذعر: «الجرذين هي التي تهجر السفينة عندما تغرق.»

فحملق السير جورج فيها: «اننا لم نغرق بعد، فلا تبدإي بمحونا أنت أيضاً.»

فقالت بذعر: «كلا، كلا أبداً، كل ما عنيته هو...»

أخذ الرجل العجوز يربت على يدها متنهداً: «اعرف، أعرف... آسف يا عزيزتي، ان طبعي ضيق حالياً، أولئك الرجال يأتون إلى الاجتماعات فقط لكي يبصموا على القرارات، وعندما تتعسر الأمور ينقلبون عليّ.»

سألته: «هل اصدرتم هذه المرة أية قرارات؟»

فقال: «نعم، وهو أن يدعى حملة الأسهم للاجتماع حالاً.»

أنهى كوبه ووضعه على المكتب، حينئذ وقعت عيناه على قائمة الاتصالات الهاتفية التي كانت هيزل وضعتها على المكتب، فقال: «أرى أن لورا اتصلت مرة أخرى.»

فقالت جينا: «تجاهلها.»

«لا أستطيع المجازفة بإغاظتها حالياً، فهي تملك خمسة بالمئة من الأسهم.»

لم تكن جينا تعلم ذلك، فتساءلت عما إذا كان نيكولاس يعلم ذلك، وعما إذا كان هذا هو السبب الذي جعله رقيقاً ساحراً معها بشكل مدهش، كانت تعلم كيف يتصرف رجل مثله، فهو يمسك بقائمة تتضمن أسماء حملة الأسهم، ثم يرى ما إذا كان من المحتمل أن يبيع أي منهم أسهمه، فإذا هو أدرك أن لورا تملك أسهماً في سنتنال، فقد يلبي دعوتها له إلى حفلتها حيث يقنعها ببيعها.

سألت الرجل العجوز: هل ستذهب إلى حفلتها مساء السبت؟»

فتأوه قائلاً: «اظن يتوجب عليّ ذلك، وربما هي تتصل بي الآن لتذكرني بها مرة أخرى.»

عضت جينا شفتها، لو أنه ذهب، وكان نيكولاس هناك، فقد تتعمد لورا بخبث زلة لسان تخبره بأنها رأتهما معاً في ذلك المطعم، فهي من ذلك النوع من النساء، رغم وعدها بأن لا تقول شيئاً، وهكذا ربما من الحكمة أن تسبقها فتخبر السير جورج عن مقابلتها له سراً.

قال السير جورج بتعب: «كاسبيان في السوق يشتري ما يحصل له من أسهم، لقد أعلن اهتمامه بذلك هذا الصباح، وطبعاً، دفع هذا أسعار الأسهم إلى الارتفاع على الفور، ولا شك في أن كثيرين سينتهزون هذه الفرصة، بما في ذلك أعضاء من مجلس الإدارة دون شك، بعد أن استمرت أسعارنا أشهراً في انخفاض.» وبدت المرارة على وجهه، ومال في كرسيه إلى الخلف مغمضاً عينيه، فنظرت إليه بمحبة وعطف، متمنية لو أن بإمكانها أن تساعده بشيء.

ثم قال بإكتئاب: «كان حظنا نحساً، فقد اخذنا ببناء باربري وارف في وقت غير ملائم بالنسبة إلى اقتصاد البلاد، لو كنا بنيناه أثناء الإزدهار، لكانت النتيجة ممتازة، ولكن كيف لي أن اتكهن بأن الركود التجاري سيعم البلاد بعد سنتين من تصميمي على الانتقال؟»

فقالت بسرعة: «طبعاً ما كان بإمكانك التكهن بذلك، إنه مجرد سوء حظ، هل سمعت شيئاً من نيكولاس كاسبيان؟»

«آه، نعم، لقد طلب الاجتماع بي... انني لم اتكلم معه، ولكنني تلقيت رسالة مطولة من مندوب، يبدو أنه يريد

اتفاقية ما...» جذبت جينا نفساً عميقاً، ثم قالت: «لقد تحدثت إليه.»

حدّق إليها ثم سألها: «ماذا؟ متى؟»

فقالت: «منذ يومين.»

قطب جبينه، ثم سألها: «في الهاتف؟»

اخذت تهز رأسها، فقال بحدة: «هل جاء إلى هنا مرة أخرى؟ لماذا لم تخبريني؟»

«لقد طلب مني أن... ان اكون واسطة بينكما... أن أتحدث اليك مقترحة تسوية.» رأت وجه الرجل العجوز يظلم من الغضب والصدمة، فأسرعت تتابع: «ظننت أن ربما هناك فائدة إذا تحدثت معه، فأكتشف ما يخطط له... وهكذا... وهكذا تناولت العشاء معه.»

زمجر هادراً: «فعلت ماذا؟»

فأجفلت: «آسفة إذا كنت مخطئة، ولكنني كنت فقط أحاول المساعدة، قال ان كل ما يريده هو مقعد في مجلس الإدارة، وصوت في صنع سياسة الصحيفة، وستبقى أنت الرئيس.»

قطب السير جورج جبينه وبدا الاهتمام البالغ في عينيه: «هذا كرم منه، ولكنه لن يرضيه، إنها فقط الافتتاحية، انه يسعى إلى السيطرة، أعرف ذلك.» ونظر اليها بغضب. «كيف أمكنك التحدث معه من وراء ظهري؟ كنت اظنك، أنت من بين كل الناس، ترفضين خيانتي...»

شحب وجهها وهي تقول متلعثمة: «لكنني لم أفعل... هذا ولن أفعله.»

فتمتم يقول وقد ثقلت أنفاسه: «يكفي ان الرجال الذين

أدخلتهم بنفسي إلى مجلس الإدارة، قد انقلبوا عليّ، ولكن أنت! لم يخطر لي قط انك ستفعلين هذا.»

إغرورقت عيناها بالدموع: «لا يمكنك ان تصدق أنني قد أفعل شيئاً يؤذيك.»

«ولكنك آذيتني، هيا، أغربي عن وجهي.»

وقفت تحدّق إليه شاردة الذهن، فخبط على المائدة بقبضته، وقد نفر عرق أزرق في صدغه: «هيا، إذهبي ودعيني وحدي.»

استدارت لتخرج وهي ترتجف، وفي حلقها غصة، ولكن ما أن وصلت إلى الباب حتى قال بخشونة: «كلا، كلا، آسف يا عزيزتي، أنا طبعاً أعلم انك لا يمكن أن تخونيني، انك على صواب في الحديث إليه، وشكراً لمحاولتك المساعدة.»

التفتت إليه والدموع تنهمر على وجنتيها، فمد لها يداً ترتجف: «انني عجوز أحمق، يا عزيزتي، سامحيني.»

عادت إليه راكضة وقفت بجانب كرسيه، مائلة برأسها عليه، فوضع ذراعه حولها ومضى يربت على رأسها: «لا تبكي بهذا الشكل، تعلمين أنني أكره رؤيتك تبكين.»

حاولت ان تضحك، فدس في يدها منديله «خذي، إمسحي عينيك بهذا.»

أطاعته مدركة أن وجهها في حالة سيئة الآن، عيناها حمراوان وقد امحت كل زينة من وجهها.

قال الرجل العجوز: «أشعر بالضياع، يا جينا، لا أستطيع الشرح... ولكن إرادتي مشلولة، ولا أدري ما عليّ ان افعل،

إنني أرى الكارثة تقترب وتقترب ولا أدري ما افعل لأنقذ نفسي أو المؤسسة، ماذا أفعل؟»

ساد صمت طويل، ثم قال: «الحق معك طبعاً، ان عليّ ان أتناول الغداء مع اصحاب الجمعية الخيرية اولئك، الآن... فهل لك ان تتصلي بكاسبيان وترتبي أمر اجتماعي به عصر هذا اليوم؟ سأكون خالياً من العمل الساعة الثالثة، وكلما كان عدد الذين يعلمون بهذا الاجتماع قليلاً، كان ذلك أفضل، أخبريه إذن ان يأتي إليّ في بيتنا، الساعة الثالثة والربع، والأفضل أن تكوني أنت موجودة يا جينا، قد يكون من الأفضل ان يكون هناك شاهد، سأذهب بعد الغداء مباشرة إلى البيت فلاقيني هناك قبل الثالثة بقليل، والآن يجب ان أذهب، ان هاتف كاسبيان في رسالته وهذه ستجدينها في الملفات، أصري على مكالمته شخصياً وإذا لم يكن موجوداً فاتركي له رسالة ليتصل بك، أريد ان يبقى هذا الأمر سراً تماماً.»

سار نحو الباب ببطء، ثم وقف والتفت إليها قائلاً بابتسامة صغيرة ملتوية: «آسف لأنني نهرتك يا جينا.»

«لا بأس، انك متوتر للغاية، وأنا متفهمة لذلك.» بعد ذهابه أخذت تبحث عن رسالة كاسبيان وعندما وجدتها جلست تحدق إلى الهاتف وكأنه سيعضها.

أخذ رفع سماعة الهاتف وإدارة الرقم كثيراً من جهدها، قد لا يكون موجوداً، انه اما في الخارج الآن يتناول غداءه أو مشغول، اكتشفت أن الرقم هو لمكتبه في لندن، وردت عليها امرأة بصوت ناعم رقيق: «مؤسسة كاسبيان الدولية.»

فقالت جينا بصوت أبح: «السيد كاسبيان، أرجوك.»

«من المتكلم؟» سألها الصوت الهادىء دون اهتمام.

فترددت برهة ثم ذكرت اسمها.

«انتظري علي الخط من فضلك وسأرى ان كان السيد كاسبيان موجوداً.»

أخذت جينا تدعو أن لا يكون موجوداً، ولكن بعد لحظة، جاءها صوته الهادىء يقول: «آلو.»

سألت: «السيد كاسبيان؟» وكانت تعلم ذلك جيداً إذ أن خفقان قلبها كاد أن يصمها.

أجاب بجفاء: «تعلمين أنه أنا، ماذا تريدين يا جينا؟»

أغضبتها لهجته، فقالت بلهجة باردة كالثلج: «يريد السير جورج أن يتحدث معك، هل يمكنك الاجتماع به في بيته الساعة الثالثة والربع عصر هذا اليوم؟»

سكت لحظة، ثم قال فجأة: «الموعد قريب جداً.»

حاولت أن تجعل لهجتها عفوية كلهجته: «ألا يمكنك الحضور؟»

سكت مجدداً ثم قال: «آه، نعم، سأكون هناك، ما هو نوع هذا الاجتماع؟ هل عليّ أن أحضر أحداً من رجالي معي؟ أعني محاسبين، محامين...»

«كلا، يريد السير جورج أن يكون هذا الاجتماع سراً... أنت وهو فقط، كما انه يفضل أن لا تخبر أحداً بأنك ستقابله.»

«نحن الاثنان فقط إذن؟» وبدا على نيكولاس التفكير. بإمكانها تصور تلك النظرة الحذرة في تلك العينين الرماديتين الصارمتين، وذلك العقل الجبار وهو يعمل بسرعة، انه سيحاول التكهن بما صمم السير جورج عليه،

أجابت بعداء هادىء: «كلا، سأكون انا معكما أيضاً، بصفة شاهدة على حديثكما.»

بدت السخرية في صوته وهو يقول: «اثنان ضد واحد؟ هذا ليس عدلاً، ولكنني أقبل. إلى اللقاء يا جينا.»

ثم اقفل السماعة، فوضعتها من يدها وهي ترتجف، يجب أن لا تدعه يؤثر عليها بهذا الشكل.

كانت تزين وجهها في غرفة الملابس عندما دخلت عليها هيزل باسمة: «هل أنت جاهزة؟»

فأجابت جينا: «نوعاً ما.» ثم انتظرت ريثما مرت هيزل بالمشط على شعرها وأعادت صبغ شفتيها، كانت دوماً انيقة لا عيب فيها، تبدو وكأنها خرجت لتوّها من بين يدي خبيرة التجميل، كان عملها بنفس المستوى، كل ما تقوم به تنجزه بكفاءة تامة، فهي سكرتيرة ممتازة.

إستقلتا الحافلة إلى الطرف الغربي من المدينة، كانت الشمس مشرقة هذا النهار، ولندن تستعد للعيد، واجهات المتاجر تتألق في أشعة شمس الشتاء بزينة العيد، كما كانت الزينات تمتد من أول شارع اكسفورد إلى نهايته.

قالت هيزل بابتسامة سعيدة: «ألا يبدو كل هذا جميلاً؟ كم أحب فترة العيد.»

«لن يحل قبل أسابيع، لماذا يبدأون به باكراً هكذا؟ انهم يبكرون به سنة عن سنة.»

كان شارع اكسفورد يعج بالمشترين، ولكن الهواء كان بارداً رغم أشعة الشمس، فارتجفت جينا داخل معطفها الروسي، لقد ازداد شعورها بالبرد منذ لقائها ذاك مع نيكولاس كاسبيان، لقد أصبحت أكثر حساسية لما يحدث،

من حالة الجو إلى النقاش في المكتب، كما أن دموعها أصبحت سريعة التدفق، وطباعها ازدادت حدة.

سارتا على رصيف الشارع تتفرجان على واجهات متاجر الأحذية، وعندما وصلتا إلى مكان ماربل آرك، عثرتا على ما كانت هيزل تبحث عنه... حذاءً ذا لون أزرق باهتاً يتلاءم مع ثوب اشترته حديثاً لترتديه في عرس صديقة لها.

سألتها هيزل: «أين سنأكل؟»

أجابت جينا وهي تنظر إلى ساعتها: «في سلفريدج وهو أمامنا حيث أن ليس لدينا ما يكفي من الوقت إذ لديّ موعد في الساعة الثالثة، وهكذا عليّ أن اتركك الساعة الثانية والنصف.»

فقالت هيزل: «لا بأس بالنسبة إليّ.» ثم استقلتا المصعد إلى الطابق الأعلى حيث المطعم، وما أن دخلتا حتى جاء النادل يعتذر بأن ليس لديهم مائدة خالية.

سألتها هيزل: «هل ننتظر؟» ولكن جينا هزت رأسها وهي تبتعد، وإذا بصوت خلفهما يقول: «مرحباً، يا سيدة تيريل... هل تذكرينني؟ انا بييت فان ليدن. سمعت النادل يقول ان ليس ثمة مائدة خالية لأجلكما، ولكن يسعدني أن تشاركاني مائدتي أنا وحدي، ولكن مائدتي تتسع لثلاثة بسهولة.»

أجفلت جينا ثم ابتسمت بخجل: «شكراً، يا سيد فان ليدن هذا لطف بالغ منك.»

«قولي بييت فقط من فضلك.»

«آه، حسناً، شكراً يا بييت، وأنا جينا فقط.» ثم عرفته إلى هيزل فصافحها دون أن ينظر إليها تماماً، وهو يحييها بأدب، ثم ابتسم لجينا: «لم أظن أن الحظ سيسعدني برؤيتك

مرة أخرى... هذا رائع. تفضلا بالجلوس هنا.» وكان النادل قد أعدّ مكانين لهما أثناء حديثهم، أشار بييت إلى جينا بالجلوس بجانبه، فجلست هيزل إلى جانبها الآخر، بينما ناولهما النادل قائمة الطعام، وإذ رأت جينا نظرة هيزل المستفهمة. قالت لها: «السيد فان ليدن هو مهندس يعمل في مؤسسة كاسبيان الدولية.»

فقالت هيزل بأدب: «مهندس؟ هذا مهم جداً.»

ألقى عليها بييت نظرة سريعة ثم قال بأدب: «نعم، وأنا أحب مهنتي.»

إحمر وجه هيزل قليلاً، كانت جميلة جداً وقد اعتادت الحصول على انتباه الرجال، ولهذا جرحها عدم اهتمام بييت بها، فقالت بحدة: «طبعاً، أما انا فلست سوى سكرتيرة لا أهمية لها.» وأخذت تتساءل بامتعاض عما إذا كان مظهر جينا هو الذي يعجبه... أم أموال السير جورج.

قالت جينا بسرعة محاولة تهدئة مشاعر هيزل: «ان هيزل تتواضع بتحولها هذا، فهي سكرتيرة السير جورج تيريل.»

ولكن بييت لم يهتم بذلك، فقال بعدم اكتراث: «أحقاً؟»

قالت هيزل بحدة وهي ترفع وجهها نحوه: «نعم، حقاً.»

ولكن بييت كان عاد بنظراته إلى جينا: «وأنت مساعدته الشخصية، أليس كذلك؟» فأومأت إيجاباً، شاعرة بالضيق من نظرات هيزل الغاضبة.

سأل: «هل كنتما تتسوقان؟»

أجابت هيزل باقتضاب: «أنا التي كنت أتسوق، وقد اشتريت حذاء.»

تكرم عليها بنظرة قصيرة، ربما لإحساسه بالغضب في لهجتها، ثم قال متصنعاً الاهتمام: «آه، ما أجمل هذا.» ثم عاد ينظر إلى جينا: «وأنت؟ ألم تشتري شيئاً؟»

بعد ذلك لزمت هيزل الصمت، وهي تفكر باكتئاب، بينما أخذت جينا تنظر إليها بقلق، لقد أوضح بييت فان ليدن بتصرفاته أنه يعتبر ثلاثة أشخاص حشداً كبيراً، وأنه يتمنى لو أن هيزل لم تكن موجودة، وقد تملك جينا الحرج لهذا، ولكن ماذا بإمكانها أن تفعل؟

كانت الخدمة سريعة، لحسن الحظ، وكان بييت يخص جينا بحديثه، ما جعلها تحاول إشراك هيزل ولكن هذه لم تستجب، أكلت طعامها المؤلف من السمك المشوي والشمام، مسمرة نظراتها في طبقها، وعندما انتهت نهضت واقفة: «أنا ذاهبة يا جينا، سأراك في المكتب.»

رفع بييت فان ليدن بصره إليها، وكأنه انتبه إلى العداء الموجه نحوه، ثم اقترف اكبر غلطة حتى الآن، فقد ابتسم بحرارة: «آه، هل ستتركيننا؟» قال ذلك دون أن يخفي سعادته بذلك.

فقالت هيزل بحدة: «نعم، كما ترى.» ثم استدارت على عقبيها خارجة، إتسعت عينا بييت الزرقاوان وهو يحدق في أثرها وقد بدا عليه الإضطراب، ثم سأل جينا مقطباً حاجبيه: «أتراني أخطأت بقول شيء؟»

نظرت إليه بشيء من الرثاء: «هذا غير مهم.» وما فائدة الشرح؟ ربما هو لن يلتقي هيزل أبداً بعد الآن، وإذا حصل

هذا بإمكان هيزل أن تقول له ما تريد، دون شك. قال لها: «صديقتك هذه غريبة الطباع.» ثم منحها إحدى ابتساماته الصبيانية المتألقة.«إنما الآن بعد ذهابها، لم يعد سوانا نحن الاثنين... وبإمكاننا الآن ان نتعرف إلى بعضنا البعض حقاً.»

نظرت جينا إلى ساعتها بأسف: «أنا آسفة، إذ عليّ أن أذهب الآن.» تنهد بأسى بينما أحالت أشعة شمس الشتاء الباهتة المنبعثة من النافذة، شعره إلى ذهب متألق، إنه يكاد يكون رائع الجمال بالنسبة إلى رجل، كما أخذت تفكر وهي تنظر إليه، كان ظريفاً دافىء الحديث محبوباً، لكنه لم يكن يبدو بقوة شخصية نيكولاس كاسبيان المثيرة طبعاً، وتوهج وجهها.

قال: «أريد أن أراك مرة أخرى، أرجوك، هل نتعشى معاً المرة القادمة؟ سيكون لدينا مزيد من الوقت للحديث.»

فقالت: «ربما ذات مساء.» وأشارت إلى النادل قائلة: «أريد قائمة الحساب لنفسي وللسيدة التي كانت معي، من فضلك.»

فقال بييت: «كلا، لقد دعوتكما للغداء معي، وسأدفع أنا الحساب.»

لم تجادله بعد أن رأت تصميمه، ولم يكن لديها وقت لحديث طويل، وهكذا ابتسمت له: «شكراً، انك بالغ اللطف، أما الآن فيجب أن أذهب مع الأسف.»

سألها وهو يقف معها: «أيمكنني الاتصال بك؟»

ترددت لحظة ثم اندفعت تقول: «نعم، طبعاً.» ربما بإمكان

بييت أن يصرف ذهنها عن التفكير في نيكولاس كاسبيان.

فلمعت عيناه: «إنني متشوق لذلك كثيراً.»

عندما أسرعت خارجة من المطعم واستقرت في تاكسي، أخذت تتساءل عما اذا كان سيذكر لقاءهما هذا لنيكولاس، وكان هذا ما ترجوه، عندما عادت إلى منزل السير جورج قبل الثالثة، وجدته خالياً كانت مديرة المنزل في الخارج تتسوق على الأغلب، وزوجها جون يقود السيارة بالسير جورج، كان الاثنان يديران المنزل، دفتي تطبخ وتنظف المنزل، بينما جون ليس سائقاً فقط، ولكنه يقوم بكل ما يطلبه منه سيده.

سارت جينا من خلال الردهة إلى المطبخ الذي كان يقوم خلف باب من خشب الماهوغاني حيث أعدت صينية الشاي لكي تقدمها للسير جورج ونيكولاس كاسبيان عندما يصلان، هذا إذا لم يطلبا شيئاً آخر، ثم اندفعت صاعدة إلى الطابق العلوي حيث غرفتها لكي تغير ملابسها من تنورة رصاصية وبلوزة بيضاء أنيقة، إلى ثوب اكثر رقة وجمالاً، محدثة نفسها بأن ذلك ليس من أجل نيكولاس طبعاً، أو ليس بالضبط، انها ما تزال تكره الرجل، وإذا لم تره قط بعد ذلك، فهذا أفضل ولكن بما أنه سيأتي في أية لحظة، فإنها لا تريد ان تفتح له الباب بادية الاحتشام والبلادة. كلا تريده ان يجلس وينتبه إليها!

أخذت تنبش خزانتها بلهفة، وفجأة رأت ما كانت تبحث عنه... كانت اشترته عندما كان جايمس حياً وذلك لترتديه في حفلة أزياء تنكرية، وكان من طراز أزياء العشرينات من هذا القرن، كان جايمس أعجب بها جداً في هذا الثوب،

ولكنها لم تلبسه قط بعد ذلك، كان ثوباً أسود بسيطاً، تنحدر فتحة العنق منه بشكل فاضح، كما أن التنورة ذات الكشكش تنتهي فوق الركبة، هل ما زال يلائمها؟ أخذت تتساءل عن ذلك وهي ترتديه، ودهشت إذ رأته ما يزال كذلك،سرحت شعرها النحاسي، ورفعته فوق رأسها وثبتته بعقدة كبيرة بشكل فراشة سوداء، وصبغت شفتيها بلون أحمر، وذرّت على جفنيها لونين، ذهبياً وأخضر، ما جعلهما يتألقان كالشمس، ثم تراجعت إلى الخلف وأخذت تحدق إلى صورتها في المرآة.

كلا، لا يمكنها أن تدع نيكولاس كاسبيان يراها بهذا الشكل، وكذلك السير جورج، ان بإمكانها ان تتصور وجه الرجل العجوز يكسوه الذعر... كلا، عليها أن تغير ملابسها إلى ثوب اكثر ملاءمة واتزاناً.

بعد لحظة واحدة تصاعد رنين جرس الباب، فأجفلت، من المؤكد أنه ليس هو، وبينما أخذت تتساءل من عسى أن يكون، عاد رنين الجرس يتصاعد فأسرعت تهبط السلم.

توقعت أن يكون القادم نيكولاس مع ذلك، عندما فتحت له الباب شعرت بسهم عنيف يخترق صدرها، لم تعلم ما إذا كان صدمة أم ألماً. قالت بصوت خافت: «انك مبكر.»

لم يجب نيكولاس، فقد شغله عن ذلك التحديق إليها، من كتفيها الأبيضين الناعمين، منحدراً إلى الساقين الطويلتين بجوربيهما الأسودين.

أخذت نبضات قلبها تتسارع، ولكنها تمكنت من القول: «السير جورج لم يأت بعد، ولكنه سيصل حالاً.»

ثم تنحت جانباً وهي ترتجف، فدخل بأناقة متزناً بمعطف أسود من الكشمير كان مفتوحاً كاشفاً عن البذلة الرمادية المخططة التي يرتديها، أغلقت الباب شاعرة بالتوتر من الرأس إلى القدم، والخجل البالغ يتملكها وهي تشعر به يراقبها كالصقر، ولكن ما الذي كان يفكر فيه؟

خلع معطفه وألقى به على كرسي في الردهة، ثم أخذ يتمشى محدقاً في الصور المعلقة على الجدران.

قالت له: «ربما يعجبك الإنتظار هنا.» فسار داخلاً إلى غرفة جلوس فسيحة يغلب عليها اللونان الأخضر والذهبي، وهو ينظر حوله إلى الأثاث، الستائر المخملية الذهبية اللون خزانة البورسلين الزجاجية طراز القرن الثامن عشر، حورية البحر البرونزية تقف في كوة في الجدار في زاوية من القاعة، وذلك قبل أن يحول عينيه المضطربتين إلى جينا مرة أخرى.

قالت بسرعة: «اجلس من فضلك، هل أحضر لك شراباً؟ شاي، قهوة، أم شيئاً آخر أقوى؟»

ابتسم لها والسخرية في عينيه: «لا أظنك تريدين أن تغويني ومن ثم تقنعينني بقبول ما يريده السير جورج، أليس كذلك؟»

انفجرت تقول وقد التهب وجهها: «لا تكن سخيفاً.»

«أحقاً؟ ولكن بإمكانك في ثوبك هذا، أن تجعليني أقبل بأي شيء.»

فقالت بحدة: «إنني لم ألبسه لأجلك.»

نظر إليها بحدة وقد ضاقت عيناه: «كلا؟ من هو ذلك الرجل المحظوظ إذن؟»

فقالت وقد التهبت عيناها الخضراوان: «هذا شأني الخاص.»

نظر إليها بإمعان، وعادت تسأله عما يريد أن يشرب، بقي لحظة لا يجيب وقد تجمدت ملامحه، ثم قال بلهجة باردة: «الأفضل أن أتناول كوباً من القهوة السوداء تجلي الذهن.»

«سأحضرها إليك.» قالت ذلك شاعرة بالارتياح للابتعاد عنه وعن صحبته. وفي المطبخ، أخذت بإعداد القهوة وقد انشغل بالها. لماذا كذبت عليه فجعلته يعتقد أن في حياتها رجلاً؟ لقد قالت ذلك كيلا يظن أنها ارتدت هذا الثوب لأجله، ولكن الكذب هو دوماً خطأ، وتمنت لو أنها لم تفعل ذلك.

وضعت الفناجين وصحونها وإبريق القشدة وإناء السكر، وأطفأت النار تحت إبريق القهوة، ثم نظرت حولها تبحث عن صينية، وإذا بها تكتشف أن مديرة المنزل وضعت الصواني على رف في المطبخ القديم الطراز والذي يكاد يصل إلى السقف.

صعدت إلى كرسي عالٍ لتصل إلى الرف، ولكن مازال عليها أن تقف على أطراف اصابعها متطاولة لتصل يدها إلى الصينية، ما جعل الكرسي يتأرجح بها.

وإذا بصوت نيكولاس يهتف بها في تلك اللحظة: «حذار.» فأجفلت ما جعلها تنزلق وهي تصرخ مذعورة، ثم تسقط، ولكن نيكولاس تلقاها قبل أن تصل إلى الأرض، ممسكاً بها بشدة، بينما سقطت الصينية الفضية الثقيلة على الأرض محدثة صوتاً كالرعد.

جعلها الصوت تجفل، ناظرة إليه وهو يطوّقها بذراعيه، ومضت لحظة دون نهاية أخذا فيها يحدقان في عيني بعضهما البعض، كانت تسمع دقات قلبها تخفق بين ضلوعها بقوة وسرعة، فيتجاوب صداها من مكان ما... أم لعلها خفقات قلبه؟

طالما أرقت الليالي في سريرها تتساءل عما يكون عليه شعورها لو أنه أخذها بين ذراعيه... وها هي ذي تعلم الآن.

ثم إذا بصوت باب يصفق تبعه صوت مفتاح يدور في قفل الباب الخارجي، تركها نيكولاس حالاً، فهمست مجفلة: «لا بد أنه السير جورج.» وشعرت بساقيها من الوهن، بحيث لم تستطع أن تصل إلى الكرسي.

أوماً وقد اظلم وجهه، وأخذ يسوّي شعره بيده: «سأذهب لأتحدث إليه، بينما تعدين أنت القهوة.» ثم استدار على عقبيه وخرج من المطبخ.

بقيت جينا لحظة لا تستطيع الحراك، كيف أمكنه تمالك نفسه بهذه السرعة، كان محمّر الوجه غير ثابت على قدميه، ولكنه كان سريع التفكير والحركة، ربما لم تكن المشاعر التي تبادلاها تعني شيئاً كثيراً بالنسبة إليه، وإلا كيف استطاع العودة إلى طبيعته بهذه السرعة؟

بدت المرارة على ملامحها، لا شك أنه بالغ الخبرة في هذه الأمور، كم من النساء ذابت بين ذراعيه، وتوهج وجهها إزاء شعورها بالخزي والذنب، وشعرت بالإحتقار لنفسها. بللت منشفة بالماء البارد وضعتها على عينيها وجبينها، كان رأسها ينبض بالألم، عليها أن تجمع شتات نفسها، فهي

لن تتمكن من مواجهته الآن، لا تستطيع الجلوس معه ومع الرجل العجوز في غرفة واحدة، مواجهة عينيه الساخرتين.

آه، ولكنه كان متأثراً بها هو أيضاً، وتذكرت توهج وجهه وارتجاف يديه، ونظراته... فهل كان يخدعها؟ يا له من ممثل.

ابتدأ الهاتف على جدار المطبخ، في الرنين، أجفلت، ثم تقدمت ترفع السماعة، جاءها صوت السير جورج هاتفاً بضيق: «جينا؟ أين القهوة؟ سأتناول فنجاناً أنا أيضاً.»

«أنا قادمة الآن.» ووضعت السماعة ثم وقفت لحظة تتنفس بعمق، مجاهدة في تمالك مشاعرها، عليها أن لا تدع نيكولاس يرى ما فعله بها.

عندما دخلت بالصينية إلى الردهة وقفت لتتفحص مظهرها في المرآة، لكنها بدت طبيعية بشكل مذهل، هذا باستثناء شعرها الأشعث، مرت بيدها على شعرها، ثم دست خصلات الشعر في الشينيون، ما بدت معه اكثر أناقة.

عندما دخلت الغرفة، كان نيكولاس جالساً على كرسي بذراعين فهب واقفاً لرؤيتها ثم تقدم منها يأخذ من يدها الصينية ثم يضعها على المنضدة.

سألته: «كنت طلبت قهوة سوداء، أليس كذلك؟» قالت ذلك وهي تواجه عينيه الهادئتين بثبات، شاعرة بالارتياح لتوقف يديها عن الإرتجاف.

أخذ نيكولاس الفنجان الذي قدمته له، ثم عاد إلى كرسيه، فحملت فنجان السير جورج إليه، كان الرجل العجوز ينظر إليها بإمعان رافعاً حاجبيه، وفي عينيه نظرة ذهول: «لم أر هذا الثوب من قبل.»

احمر وجهها وهي تشعر بنيكولاس ينظر إليهما مستمعاً وقالت: «انه عندي منذ سنوات ولكنني لا أرتديه دائماً.»

«هل ستخرجين إلى مكان معين فيما بعد؟»

أجابت كاذبة إذ لم تكن تريد أن يظن نيكولاس أنها ارتدت هذا الثوب لأجله: «ربما.»

إنفجر نيكولاس يخاطب السير جورج متوتراً: «هل نتابع حديثنا؟»

نظر إليه الرجل العجوز بمرارة، ثم نظر إلى جينا: «لقد اخبرني السيد كاسبيان لتوه أنه اشترى أسهم لورا.»

عضت شفتها، ثم قالت: «أول جرذ يهجر السفينة الغارقة؟»

أومأ الرجل العجوز برأسه متنهداً، فقال كاسبيان بهدوء: «وفّر على نفسك الكثير من المتاعب يا سير جورج بالاعتراف بالهزيمة.»

نظر العجوز إلى جينا وقد بدا العجز والقنوط في وجهه: «أي خيار بقي لدي؟»

قال نيكولاس: «لا خيار، مع الأسف، ان اشهار افلاسك ما هو إلا مسألة وقت، إلا إذا أذعنت لشروطي.»

أخذت جينا تنظر إليه بمرارة، هو ذا نيكولاس كاسبيان الحقيقي... بارد عديم الشفقة، غير جدير بالثقة، المرأة الحمقاء وحدها هي التي تقع في غرام رجل كهذا.

قال للرجل العجوز بهدوء: «اذا أردت لشركتك الانتعاش، عليك أن تمدّها برأسمال جديد، ولا أحد يقرض مبلغاً كهذا دون أن يطلب لنفسه قدراً من السيطرة، انك تعلم هذا بقدر ما أعلم.»

قال السير جورج بصوت متعب: «نعم، أعلم هذا، حسناً جداً، أنا اعترف بالهزيمة.»

سرت في ظهر جينا برودة الثلج، لقد انتصر، حسناً، ألم تكن تعلم بأنه سينتصر؟ وذلك منذ البداية؟ إنه قاس،حيوان مفترس في دنيا الأعمال والمال، إنه يرصد فريسته بصبر لا حدود له، ودوماً يحصل عليها، والرجل العجوز ليس كفؤاً له على الاطلاق، ربما كان كذلك في شبابه، لكنه أصبح الآن متعباً كبير السن، ربما يبقى متمتعاً في حياته بلقب الرئيس، ولكن نيكولاس كاسبيان، من الآن فصاعداً، هو القوة الحقيقية خلف صحيفة سنتنال.

الفصل الخامس

بعد عشرة أيام كانت هيزل تشرب علبة من اللبن خلف مكتبها، عندما انفتح الباب فجأة، ما جعلها تقفز واقفة شاعرة بالذنب وهي تلتفت لترى القادم، كانت تكره أن يراها أحد تأكل شيئاً في المكتب، رغم أنها غالباً ما كانت تحضر معها غداءها إلى العمل عندما كانت تعلم أنها ستكون مشغولة ذلك النهار، كانت بذلك تربح ساعة الغداء لإكمال ما قد يكون هناك من عمل متخلف. انها تكره أن تبقي خلفها أي عمل ينتظر الإنجاز، عندما عيّنها السير جورج في عملها هذا بصفتها كبيرة السكرتيرات، متجاوزة عدة نساء يكبرنها في السن، لم يخفين امتعاضهن لذلك، قائلات: «انك أصغر كثيراً من أن تستطيعي القيام بمثل هذا العمل.»

ولكنها بعد تدريب مرهق، استطاعت أن تثبت خطأهن، كما اعترفن بذلك متظاهرات بالعطف، مضيفات قولهن: «ولكن هذا كثير عليك، انك لن تستطيعي المتابعة، يا عزيزتي.»

أخذن يراقبنها كالنسور، منتظرات سقوطها، أو إظهار دلائل الضعف، لكن هيزل كانت مصممة على الاحتفاظ بوظيفتها والقيام بها كأحسن ما يمكن، وهكذا تعودت الوصول باكراً، وترك العمل متأخرة، وإغفال الغداء كلما كان عملها كثيراً، حاولت أن لا يراها أحد تأكل في المكتب،

من الموظفين أو حتى السير جورج، كانت هيزل تفضل أن تبدو غاية في الكفاءة، لكن هذا النهار لم يكن القادم إحدى السكرتيرات وإنما كان بييت فان ليدن، كانت شمس الشتاء تتألق على شعره الأشقر الناعم وبشرته الملوّحة، تملك هيزل الذعر وكأنه إحدى زميلاتها، وضعت من يدها علبة اللبن الرائب، ووقفت راجية أن لا يكون رآها، قالت ببرودة: «آسفة يا سيد فان ليدن لأن السير جورج غير موجود، إنه لن يعود قبل عدة ساعات، هل تريد ترك رسالة له؟»

«إنني لم أحضر لرؤية السير جورج في الواقع، وإنما السيدة جينا تيريل.»

فقالت باختصار: «انها هي أيضاً في فرصة الغداء.»

«هل ستعود قريباً؟»

«ليس لديّ فكرة.»

نظر إليها بحدة، مقطباً جبينه: «انك غير متعاونة معي.»

بادلته النظر بجمود: «أحقاً؟ ربما لأنني مشغولة جداً، كما إنني لا آخذ أجري هنا لاقتفاء آثار السيدة جينا وتنقلاتها.»

قال متذمراً: «كما أنك غير مهذبة.» وهذه المرة لم ترد عليه.

كان هذا صحيحاً، لم تكن مهذبة معه، إنها لا تنكر ذلك، كلا ولا ودوداً أو متعاونة، ذلك لأن أياً من هذه المشاعر لم تراودها، وهي تواجهه. كان في غاية التهذيب معها، ولكنها كانت واثقة من أنه لا يستطيع تذكر اسمها، غير متأكد من شخصيتها، لكنها لم تهتم لذلك على كل حال، كثير من الرجال الذين يأتون إلى هذا المكتب لرؤية السير جورج،

كانوا يتحدثون إليها بعدم اكتراث مهذب أو حتى غطرسة، ولكن هذا لم يكن يهمها، ولكنها لأمر ما، غاظها أن تلمس ذلك من هذا الرجل الهولندي.

رفعت وجهها ناظرة في عينيه بثبات إلى أن حول هو نظراته مقطباً جبينه، لكنه لم يخرج، أخذ يتمشى نحو النافذة ناظراً منها إلى الخارج، وبعد لحظة عاد فالتفت إليها قائلاً: «لا يدهشني سوء طبعك، فهذا المنظر من الكآبة بحيث يبعث الكآبة في النفوس.»

«انه مثال لمناظر لندن، ثم إنني أحبه، كما إنني لست سيئة الطبع وإنما مشغولة فقط.»

نظر إلى مكتبها فرأى علبة اللبن الرائب، فقال ضاحكاً: «ومثل هذا الطعام البسيط لا يبهج النفس كذلك.» نظر إليها بإمعان: «إنك لست بحاجة إلى نظام للنحافة.»

«يا سيد فان ليدن، إذا كان لديك خبر تريد تركه للسيدة تيريل، فسأبلغها إياه.»

قالت ذلك بحدة، فقال بابتسامة ملتوية: «شكراً يا آنسة...» وسكت ثم عاد يقول: «آسف، نسيت اسمك.»

كانت تعلم هذا، ومع ذلك قالت غاضبة: «فوربس.»

فقال: «هيزل فوربس، انه اسم جميل... هيزل... إنه اسم شجرة جميلة رشيقة لم تعد توجد بكثرة في انكلترا هذه الأيام، كان خشبها يستعمل لأشياء كثيرة، من السلال إلى الأثاث.» تقدم إلى مكتبها وأخذ يمعن النظر فيها، ما جعلها تحمر خجلاً وتتوتر اعصابها، لماذا أخذ ينظر إليها بهذا الشكل؟ فكرت عابسة في أنه ربما يظن أن الاسم لا يناسبها! إذا قال شيئاً كهذا فهي ستضربه!

ولكنها لم تتوقع منه اطلاقاً أن يقول: «ان لون عينيك خطأ.»

تمتمت تقول وقد فوجئت: «ماذا؟»

«يجب أن تكونا بنيتين، لتتلاءما مع اسمك، ولكن ليس لهما لون على الاطلاق، في الحقيقة، أليس كذلك؟»

قالت بحدة: «رماديتان، ان عينيّ رماديتان.» لكنه كان فقد اهتمامه وأخذ ينظر إلى ساعته: «هل لك أن تطلبي من السيدة تيريل الإتصال بي حين تعود؟»

حين خرج جلست هيزل ببطء خلف مكتبها وهي تنظر إلى علبة اللبن نصف الفارغة، دون شهية، لم تعد تريدها الآن.

نظرت إلى خارج النافذة حيث سطوح منازل لندن، وشعرت بالكآبة، تماماً كما كان فان ليدن يقول.

كان اهتمامه ينحصر في جينا فقط، ربما انتبه إليها نوعاً ما، ولكن فقط ليقرر أن عينيها دون لون وأنها هي فتاة مملة، ألقت باللبن بعيداً، ثم كتبت ورقة لجينا تخبرها فيها بأنه زارها ويريد منها الإتصال به هاتفياً، ثم تابعت عملها محاولة أن لا تفكر في بييت فان ليدن أو ماذا يحدث بينه وبين جينا.

كانت جينا امرأة كتوماً، من النادر جداً أن تتحدث عن حياتها الخاصة، لم يكن لدى هيزل فكرة عما إذا كانت جينا تقابل أحداً، وليس فقط بييت فان ليدن، كان خطر لها مرة أو أكثر أن جينا مهتمة بنيكولاس كاسبيان، ولكنها كما رأتهما معاً، لم تكن تشعر بسوى العداء يشتعل بينهما، وليس الإنجذاب، رغم أنه كان من الصعب غالباً

تمييز الفرق من الظاهر، لكنهما كانا دون شك، بالغي الاهتمام ببعضهما البعض لأي سبب كان، كان هذا يبدو واضحاً لكل من يجلس معهما خمس دقائق. بإمكان هيزل أن تفهم سبب عداوة جينا لنيكولاس كاسبيان، لقد اختطف صحيفة سنتنال من السير جورج وجينا شغوف بالرجل العجوز، وبالتالي من غير المحتمل أن تصفح عن كل من يسبب له ألماً.

لم تر هيزل جينا تقرأ الملاحظة التي كتبتها لها، ومنعتها كبرياؤها من أن تسألها بصراحة عما إذا كانت قابلت الرجل هذا أو عما إذا كانت ستخرج معه، إذا ما طلب منها ذلك، سبق في الماضي أن ألقت على جينا مثل هذا السؤال بصراحة وبشاشة، فلم تكد تحصل على جواب، ما عدا إحدى ابتسامات جينا الخجول، وربما هزة بسيطة من كتفها، لم تكن جينا تتحدث عن نفسها قط، وهذه المرة لم تستطع هيزل أن توجه إليها هذا السؤال، على كل حال، ذلك أنها فضلت أن لا تعرف جواب سؤالها هذا.

• • •

جاء بييت إلى المكتب مرة أخرى يوم الاثنين التالي، وهذه المرة كانت هيزل تتوقع قدومه لأنه كان على موعد مع السير جورج.

لاحظت على الفور، أنه كان متأنقاً لهذه المناسبة، أخذت عيناها الهادئتان تتأملانه من الرأس إلى القدم، كان عادة يرتدي ملابسه بشكل عفوي جداً لكنه اليوم كان في ملابس رسمية أنيقة التفصيل ذات لون رمادي مخطط

بالأزرق كما كان قميصه مخططاً هو أيضاً بالأبيض والأزرق، وكان شعره لامعاً كالزجاج.

«صباح الخير يا آنسة فوربس، المفروض أن لا أناديك باسمك الأول هيزل.» قال ذلك مازحاً، فشعرت بارتجاف في جسمها وكأنه توتر بابتسامته السريعة. بقيت لحظة لا تستطيع الكلام، وما لبثت أن استطاعت تمالك نفسها: «صباح الخير يا سيد فان ليدن، ان السير جورج لديه زائر حالياً، تفضل بالجلوس، فهو لن يتأخر، أتحب أن تشرب فنجان قهوة؟»

«أشكرك، احب ذلك.» قال هذا برزانة ولكن الهزل في عينيه كان ينبئها بأنه يراها مضحكة.

نهضت ثم سارت إلى المنضدة حيث معدات القهوة، وهي تشعر بعيني الرجل تلاحظان كل حركة منها.

كانت ملابسها في العمل هادئة جادة على الدوام، وكانت تدرك أنها تظهرها اكبر سناً واكثر مسؤولية، وكانت اليوم ترتدي تنورة سوداء ضيقة وقميصاً عاجي اللون، وجوربين أسودين شفافين وحذاء عالي الكعب، كانت نحيفة للغاية، ما تبدو معه ثيابها أنيقة تماماً، لكنها كانت تعلم أنها ليست بمثل جانبية جينا التي كانت شخصيتها البالغة الرقة تشكل مع ألوان ملابسها الزاهية المشرقة، مزيجاً غريباً، وتملكها الإستياء من تحديق بييت إليها.

ناولته فنجانه بصمت ودون أن تنظر في عينيه، وعندما قال لها (شكراً) وهي تسير عائدة إلى مكتبها، أومأت له باختصار.

رشف القهوة، ثم رفع حاجبيه: «قهوة ممتازة، كما أحبها تماماً.»

«شكراً.» قالت ذلك باختصار متظاهرة بتركيز اهتمامها على عملها.

أنهى قهوته، ثم وقف ليعيد الفنجان الفارغ إلى الطاولة حيث صنعتها، وإذا بها تراه يتسكع في أنحاء المكتب، فاتحاً أدراجاً هنا، وناظراً إلى الملفات المنضدة على رفوف هناك، ثم تقدم يحدق إلى شاشة الكمبيوتر حيث تعمل على مكتبها البالغ التنظيم، تملكها التوتر وهي تشعر به بجانبها حتى ليكاد يلتصق بها.

«انك تحبين الكمال.»

لم تجب، أحست بشكل ما بأنه لم يكن يريد بملاحظته هذه، مجرد المجاملة.

عاد يقول: «اناقة، رشاقة، كفاءة.» ولأول مرة تسمع في لهجته نبرة هولندية، سكت لحظة وكأنه ينتظر منها جواباً، ثم تمتم بجفاء: «هائلة.»

كانت هيزل على وشك الرد عليه بحدة، عندما سمعت السير جورج يودع الزائر الذي كان في مكتبه. «سأبلغه بقدومك.»

ونهضت واقفة بسرعة قبل أن يتمكن بييت من الإبتعاد عن طريقها، فاصطدما، أوشكت على السقوط لو أنه لم يتشبث بها يحميها من ذلك، مطوقاً إياها بذراعه، مضت لحظة لم تستطع فيها التنفس، كانا وجهاً لوجه.

قال لها باسماً: «كنت مستعجلة جداً للتخلص مني.» ثم تركها ووقف جانباً، فحشرت نفسها مارة به، محمرة الوجه

للغاية، في نفس الوقت الذي بدا السير جورج فيه على العتبة.

قال مادأ يده يصافحه: «السيد فان ليدن؟ المعذرة لتركك تنتظر، كان اجتماعاً طارئاً لبحث... لا بأس، تفضل بالدخول.»

تبعه إلى مكتبه، بينما جلست هيزل وهي ترتعش، لم يتملكها مثل هذا الشعور قط، في حياتها من قبل، كانت تشعر بدوار وحرارة وبرد وارتجاف، كل ذلك في نفس الوقت، تماماً كما سبق وشعرت عندما أصيبت مرة بالأنفلونزا.

حسناً، انها غير مصابة الآن بالانفلونزا، لا بد أنه الحب، وأغمضت عينيها وهي تتأوه بصمت.

سألتها جينا بدهشة وهي تقف عند الباب: «ماذا حدث، يا هيزل؟ هل أنت مريضة؟»

فتحت هذه عينيها بسرعة وقد احمر وجهها: «أنا بخير... كنت فقط... كنت أفكر...»

تقدمت جينا منها وجلست على حافة المكتب، ومضت تنظر إليها بإمعان، تجنبت هيزل عينيها بينما قالت جينا بعطف: «أنت متعبة، كلنا كذلك، انه وقت صعب بالنسبة إلينا جميعاً، أنا أيضاً بالغة التوتر، سأكون مسرورة جداً عندما ننتقل أخيراً إلى باربري وارف.»

قالت هيزل متأثرة: «وأنا أيضاً.» عندما ينتقلون إلى المجمّع الجديد، قد لا ترى بييت فان ليدن مرة أخرى، وبالتالي ينتهي تفكيرها به.

• • •

بعد ذلك بعدة أسابيع، وكانت جينا عائدة من الغداء، زارت قسم الأخبار تبحث عن روز، كانت الإضاءة في المكان سيئة للغاية، النوافذ بالغة الإرتفاع وتيار عنيف يهب منها إلى الغرف في ليالي الشتاء.

كان جهاز تلكس في كل زاوية من الغرفة يثرثر بشكل غير مفهوم، تليفزيون مفتوح في إحدى الزوايا، وراديو في زاوية أخرى، الهاتف يرن بينما ضربات الآلة الكاتبة تتعالى، والمراسلون يصيحون ببعضهم البعض، كانت الضجة تصم الآذان، والآن وهم على وشك الانتقال إلى مقر آخر عصري، إذا بالمراسلين الذين مازالوا يتذمرون من هذا المكان منذ سنوات، إذا بالإكتئاب والحزن يتملكهم لفكرة مغادرة المكان.

«أين روز؟» ألقت بهذا السؤال إلى مراسل خلف أحد المكاتب الرثة، رافعة صوتها فوق صوت جهاز التلكس، رفع بصره إليها وهو يحمل سيكارة بيد، وبيده الأخرى صورة صفراء لقطعة ورق كان يقرأها، ثم قال بابتسامة عريضة وهو يشير إلى مكتب زجاجي الجدران بقربه: «انها هناك في حوض السمك.» عند ذلك وقع نظر جينا على روز واقفة في المكتب امام دانيال بروني الذي كان جالساً بالقميص والبنطلون، دون ربطة عنق، أشعث الشعر، وقد بدت العدوانية على وجهه.

لم تستطع أن تسمع ما كان يقوله أي منهما، لأن الزجاج كان مانعاً للصوت، ولكن كان واضحاً أنهما كانا يتشاجران، فأخذت تحدق إليهما، ثم قالت تحدث نفسها بصوت مرتفع «ما أشبه هذا بفيلم صامت.»

ضحك المراسل: «انهما أشبه بسمكتين ذهبيتي اللون غاضبتين، يفتحان فميهما ويقفلانه، لماذا تظنين أننا نسميه حوض السمك؟»

لم تشأ جينا أن تقاطع ما بدا لها وكأنها المعركة الأخيرة في حرب عالمية، استدارت لتنصرف، وعند ذلك خرجت روز صافقة الباب خلفها، ما جعل الجدار الزجاجي يهتز... نظر إليها كل الموجودين في المكتب المستطيل ضاحكين، لم تبد الدهشة على أحد، بينما جلس دانيال بروني خلف مكتبه يحملق في روز شاتماً بصمت.

هرعت لتقابل روز التي كانت تبدو وكأنها تريد أن تعض أحداً.

«مرحباً يا روز، سمعت بعودتك من برلين الشرقية، عيد مولد سعيد.» ثم ناولت روز لفافة أنيقة بهيجة الألوان.

بدت الدهشة على وجه روز المتوهج. «آه، شكراً، انك تتذكرين على الدوام.» فتحت اللفافة بينما جينا تنظر إليها، لقد أمضت وقتاً طويلاً تبحث عن هدية تعجب روز.

تنهدت بارتياح عندما رأت وجه روز يتألق: «ما أروع هذا، أين عثرت عليه؟»

«في حانوت تحف، تاريخ صنعه يعود إلى ستين عاماً، ولكنك لا تصدقين، أليس كذلك؟»

«أرجو ان لا تكوني دفعت فيه مبلغاً كبيراً.» ونشرت على كتفيها الوشاح الحريري بحركة رشيقة، كان أسود اللون نثرت عليه نقوش تمثل زهور الخشخاش القرمزية وسنابل القمح الذهبية.

قالت جينا: «أنا مسرورة لأنه اعجبك.»

فالتفتت روز إليها باسمة. «كم أحببته.»

«انه يلائمك، هل لديك مشروع لهذه الليلة؟ هل يمكننا تناول العشاء والحديث؟»

نظرت اليها روز بإمعان: «عن مشكلات؟»

أومأت جينا برأسها لا تريد الحديث وكل هؤلاء القوم حولها، فقالت روز: «لماذا لا نأكل في مسكني؟ سآخذ معي طعاماً من مطعم صيني في طريق ذهابنا.»

«عظيم.»

زمجر صوت عميق ذو لكنة فرنسية: «أين تظنان انكما موجودتان؟ هذا ليس معهد تجميل وإنما قسم الأخبار، حسناً، يا روز؟ اذا كنت لا تريدين العمل، أخرجي ودعينا نركز أفكارنا على عملنا.»

عاد الغضب يكسو ملامح روز، فاستدارت إليه: «هل لك ان تكفّ عن مضايقتي؟»

قالت جينا بسرعة: «كنت ذاهبة لتوّي، آسفة إذا كنت أزعجتك يا سيد بروني.»

قالت لها روز وهي تنظر إلى دانيال بكراهية: «ليس أنت، فهو لا يسمع شيئاً من داخل حوض السمك هذا، إنه الآن يغتنم الفرصة لوخزي.»

«تعلمين أنني أدير هذا المكتب.»

«كلنا نعلم ذلك.» قالت ذلك ساخرة.

رد عليها بمثل سخريتها وعيناه السوداوان تلمعان: «هذا حسن، يا آنسة إيميري، ما زلت بانتظار مقالتك آخر هذا النهار.»

«ستحصل عليها.»

«الأفضل لك ان تقومي بذلك.» قال هذا مهدداً وهو يستدير مبتعداً، ثم وقف وألقى نظرة شاملة يقيّم بها قوامها الرشيق ملتفاً بالوشاح المتألق الألوان، ثم قال بهدوء: «بالمناسبة، وشاحك هذا جميل.» ألقت روز عليه نظرة مجفلة: «آه... شكراً...»

«إنه يكاد يجعلك تبدين إمرأة!»

قال دانيال ذلك بصوت مرتفع، ثم سار في طريقه بينما ارتفع ضحك الرجال الموجودين وقبضت روز يديها بغضب، وهي تتمتم محملقة في أثره: «أترين؟ انه لا يغفل فرصة تسنح له لكي يطعنني بالخنجر في ظهري.»

تملك جينا السرور وهي تبتعد عن كل هذا الضجيج والجو المتوتر في هذا المكان، كانت تعلم أن ليس بإمكانها أبداً أن تكون مراسلة، سواء خلف مكتبها في البيت، أم في بلاد أجنبية.

انه عمل يتضمن كثيراً من المنافسة والتوتر، ولم تكن جينا من النوع الذي تتمكن معه من مواجهة كلا الأمرين، كانت فتاة رقيقة هادئة تفضل الحياة الهادئة، دوماً كانت تتمنى لو أنها أنجبت طفلاً من زوجها جايمس، كانا تحدثا في هذا الشأن، ولكنهما كانا يريان الأيام طويلة أمامهما.

في ذلك المساء، تكوّرت جينا على أريكة في شقة روز، بعد العشاء تستمع إلى نشرة الأخبار على شاشة التلفزيون وقد خفضت الصوت، منتظرة مقابلة ستجري مع

نيكولاس كاسبيان والسير جورج، والتي سجلت هذا الصباح في مكاتب سنتنال.

لقد حدثت أمور كثيرة منذ قبل السير جورج، مرغماً، وجود نيكولاس كاسبيان في مؤسسته الصحافية، وفي كل يوم كان الاثنان، يحيط بكل منهما رجال القانون والمحاسبون، كانا يتحدثان عن المستقبل، رغم أنها جينا لا تكون موجودة ولهذا لم يكن لديها فكرة عما كانا يتحدثان عنه.

فقط، عندما صدر الاعلان الرسمي، إكتشفت جينا أن السير جورج قد باع نيكولاس كمية الأسهم التي لديه، انتقال الأسهم هذا لم يمنح نيكولاس السيطرة على الفوائد، لقد كان السير جورج احتفظ لنفسه بعدد يماثل العدد الذي يحتفظ به كاسبيان. ولكن دنيا الأعمال لم يكن لديها شك في ان مؤسسة كاسبيان الدولية هي التي ستدير بعد الآن سنتنال، وان اثمان الأسهم قد ارتفعت الآن.

في نفس الوقت، قامت الإدارة الجديدة بمقابلات مع مختلف موظفي الأقسام، الكل يطلبون معلومات ويريدون تأميناً، ووعوداً بأن وضعهم لن يتغير بتغير الأوضاع والذي كان واضحاً أنه على وشك الإبتداء.

كان كاسبيان اخبرهم، صراحة بأنه سيكون ثمة تصفية للفائضين عن الحاجة، وذلك في معظم الاقسام، ولكن لم يكن لديه وقت ليقرر أين ستكون هذه التصفية، ما جعل الغضب يكتسح الجميع، انهم لن يقبلوا هذه التصفية بسهولة، كما قالت جينا لروز.

قالت روز: «انهم قد يقومون بإضراب، المسألة هي...

متى؟ وفي أي من الأقسام؟ لا أظن نيكولاس كاسبيان كان صريحاً تماماً بالنسبة لهذا الأمر، هل رأيت تصوير الفيلم؟»

«من الزاوية، لقد أسالت حرارة الأضواء، الماسكارا عن عينيّ.»

سألتها روز بجفاء: «وكيف كان إداء كاسبيان تحت الأضواء؟»

«بارداً كالثلج.» قالت جينا ذلك بمرارة، فأخذت روز تحدق إليها: «انك حقاً تكرهينه، أليس كذلك؟»

قالت جينا مراوغة: «أنا لا أثق به.»

«يمكنني ان أرى السبب، ولكنه يعجب النساء، هيا، عليك الإعتراف بأنه جذاب، رغم أنه ليس من السهل أن يكون محبوباً.»

«حسناً، إذا كنا سنتحدث عن الرجال الجذابين ذوي المعشر الصعب، ماذا بالنسبة إلى دانيال بروني؟»

أسرعت جينا تقول متمنية لو أنها لم تفتح فمها: «آسفة، ما كان لي أن أقول هذا.»

ضحكت روز: «لا داعي للأسف، إذا كنت أتوقع منك تقبّل الحقائق، عليّ ان أتقبلها أنا أيضاً، نعم، ان دانيال رجل بالغ الجاذبية.»

قالت جينا ضاحكة: «نعم إنه كذلك، ولهجته الفرنسية تلك...»

«أدارت رأسك، أليس كذلك؟»

فقالت جينا: «كما أن لديه عينين ماكرتين.»

هتفت بها روز وهي تنظر إليها متشككة: «ماذا؟ اتراك وقعت في حبه؟»

نظرت إليها جينا تغيظها مازحة: «حسناً... ربما...» ثم ضحكت: «كلا، رغم روعته، انني أعرف أن ليس بإمكاني قط أن أتعامل معه، انه يخيفني قليلاً.»

قالت روز عابسة: «انه كذلك، دانيال بروني هو أحد أصعب الأشخاص الذين شاء لي سوء حظي التعرف إليهم، وقد سبق وتعرفت إلى عدد لا بأس به، اليوم مثلاً، لم اكد أخرج من الطائرة وإذا به يسألني أين مقالتي التي كتبتها، قلت له: «أعطني فرصة أرتاح فيها من عناء السفر من بلد كان يدعى، يوماً ما، المانيا الشرقية.»

فقال لي بحدة: «ولماذا؟ هل لأنك امرأة؟»

قال هذا في المكتب والكل يستمع إلينا... لقد ضحك الآخرون كالمجانين، طبعاً، ومع أنني كنت بالغة الإرهاق، بعد رحلتي تلك، وأريد أن أؤجل كتابة مقالتي إلى الغد، إلا أنه لم يكن لديّ خيار سوى الجلوس والكتابة بأسرع ما يمكنني، والآن أشعر وكأن عقلي ميت.»

«نعم، يبدو عليك ذلك، آسفة اذ ما كان لي أن أغيظك بالنسبة إلى دانيال.»

قالت روز: «كلا، يبدو أنني أفقد روح الفكاهة عند ذكره.»

«إنني أدرك نوع شعورك، فأنا أيضاً أخاف من منظر نيكولاس كاسبيان داخلاً إلى المكتب.» وكان هذا صحيحاً، ولكن ما لم تخبر به روز هو أنه إذا مر يوم دون أن تراه، يتملكها الضيق والتململ دون سبب، وعندما يكون موجوداً تشعر وكأن اعصابها مشحونة بالكهرباء، لقد انشغل نيكولاس طوال الأسبوع بعملية الاستلام، والمرات

الوحيدة التي كانت تراه فيها، هي عندما كانت تصحب السير جورج إلى الاجتماعات.

قالت روز بابتسامة جافية: «حسناً، عليك ان تتعودي ذلك، فهو سيجلس في المكتب من الآن فصاعداً، كثيراً من الوقت.»

«لكن السير جورج سيبقى هو الرئيس.»

قالت روز ساخرة: «أشك في أن هذا سيستمر طويلاً.»

أجفلت جينا: «لا تقولي هذا.»

نظرت إليها روز بعطف: «آسفة، ولكنني أعرف طبيعة عمل نيكولاس كاسبيان، إنه سيبقي السير جورج في مجلس الإدارة باعتباره مجرد صورة، وذلك طوال المدة التي تناسبه، ولكن أيام السير جورج في الرئاسة أصبحت معدودة.»

شحب وجه جينا: «قد تكونين على حق... آه، إذا هو أنزل الرجل العجوز من مكانته فأنا سوف... سوف...»

قالت روز بابتسامة ملتوية ودود: «سوف تقتلينه؟ عليك ان تنضمي إلى الصف، كثيرون غيرك أقسموا ان ينالوا من نيكولاس كاسبيان فلم يفلحوا، انه شخص يثير الحيرة، كما تعلمين، مؤسسة كاسبيان منتشرة في كل أنحاء أوروبا.»

«كم صحيفة لديه، يا ترى؟»

«ليس لدي فكرة الآن، ولكن هنالك شيء حسن، وهو أنه من غير المحتمل أن يقيم في لندن طويلاً، إنه سرعان ما يرحل إلى مكان آخر، فهو دائم التجوال، مداوماً الإتصال بشركاته العديدة، رغم انه يمضي

اغلب أوقاته في لكسمبورغ اكثر من أي مكان آخر.»

«لماذا لكسمبورغ بالذات؟»

نظرت إليها روز بدهشة: «انها مقر الشركة الرئيسي.»

«فهمت، انك تعلمين الكثير عنه يا روز.»

«كنت اشتغل عنده، فبدا لي أن من الأفضل ان اعلم الكثير عنه، المعرفة مفيدة على الدوام.»

«كيف رأيت العمل عنده؟»

لوت روز شفتيها: «حسناً، لم أعمل معه مباشرة، بالطبع، لقد كان صاحب الصحيفة التي كنت أعمل فيها.»

«ولكن ألم يعمل والدك عنده مرة؟»

بدت الدهشة على روز وأخذت تحدق إليها: «نعم، هذا صحيح، كيف عرفت ذلك؟»

«اخبرني أنه يعرف والدك، ويبدو أنه معجب به جداً.»

قالت روز بابتسامة ملتوية: «اعتقد ذلك، هذا غريب، في الواقع ذلك ان أبي يكره نوع كاسبيان بين الرجال.»

هتفت جينا وهي ترفع صوت التلفزيون: «لقد ابتدأت المقابلة.» فتحولت الفتاتان لتشاهدا المقابلة.

بدا نيكولاس كاسبيان مؤثراً في النفس إلى حد كبير، بطلاقته في الأجوبة وابتسامته السارة، بينما كان السير جورج فظاً متوهج الوجه، أجوبته مقتضبة، وبدا متوتراً أمام الكاميرا، ما تألم له قلب جينا، كان كارهاً كل شيء، وكان هذا يبدو واضحاً.

سألت مقدمة البرنامج الشقراء، نيكولاس: «متى ستنتقلون إلى مجمع باربري وارف؟»

أجاب نيكولاس بهدوء: «نرجو أن نقوم بذلك خلال اشهر قليلة، لقد أشرف البناء على النهاية.»

«هل من المحتمل صرف بعض الموظفين؟» منح نيكولاس الفتاة ابتسامة ساحرة وهو يقول: «ما زال الوقت مبكراً للحديث عن هذا الأمر.»

انتهت المقابلة بعد ذلك، فأقفلت روز الجهاز وهي تنظر إلى جينا مقلبة شفتيها: «ذلك ما يسمونه جواباً تهربياً.»

«طبعاً هو كذلك، إنه يعلم أن كثيراً من الموظفين سيصرفون وأن هذا يعني الإضراب.»

* * *

في المكتب في الصباح التالي، قالت هيزل بخشونة: «أدركت وأنا اشاهد التليفزيون الليلة الماضية كم من المتغيرات سنواجهها عندما يستلم السيد كاسبيان الأمور، اظن عليّ ان أبحث عن وظيفة أخرى.»

نظرت جينا إليها مجفلة: «ولكن وظيفتك غير مهددة!»

«قد يكون هذا صحيحاً، ما دام السير جورج يعمل هنا، ولكن إلى متى يدوم هذا؟ أظن من الأفضل ان أرحل من ذاتي على أن اصرف من العمل.»

«اظن من الحكمة ان تنتظري، إذا هم صرفوك من العمل، سيكون عليهم دفع تعويض لك يتناسب مع سنوات عملك مع المؤسسة، انك لا تريدين خسارة هذا، أليس كذلك؟»

«أرى الحق معك.» تنهدت هيزل بضيق لا تدري سببه. كانت إلى عهد قريب، تحب عملها، ولكن اعصابها، الآن تزداد توتراً إلى درجة وجدت فيها نفسها تتضايق من جينا.

احمر وجهها واستدارت تنظر من النافذة، لا بد السبب هو جو المكتب هذه الأيام.

لم يكن ثمة سبب يجعلها تستاء من جينا، آه، في ذات يوم، لم تكن واثقة من نوايا جينا، كانت خائفة من أن تنافسها جينا في المؤسسة، إلى أن أدركت انها كانت غبية، لقد كانت جينا من أسرة تيريل بالزواج، على الأقل، لم تكن بحاجة إلى المنافسة، ذلك انها يوماً ما، ستكون القوة الرئيسية في المؤسسة عندما ترث أسهم تيريل، وطبعاً، لن تستمر في العمل سكرتيرة، مهما كان نفوذها قوياً، كان واضحاً أن السير جورج يعدها لمركز عال، لكن هيزل كانت تشتبه في مبلغ إدراك جينا لهذا.

أصبحت هيزل فيما بعد مولعة جداً بجينا، فقد كانت جينا امرأة غير عادية على الاطلاق، لقد أحبت زوجها لشخصه وليس لماله، وأحبت الرجل العجوز والعناية به وان تكون معه عند حاجته إليها، ومع مرور السنوات والعمل في مكتب واحد، إزداد حب هيزل لها وثقتها بها، ما جعلها تستاء وهي ترى نفسها على وشك أن تفقد أعصابها معها، محتدة في الكلام معها إلى درجة تقرب من النفور، إنه مجرد توتر في الأعصاب، نعم هذا هو الأمر... توتر في الأعصاب!

الفصل السادس

نظر السير جورج إلي جينا على مائدة الإفطار ذات صباح، ثم قال لها عابساً: «يبدو عليك الشحوب، هل أنت مريضة؟»

«لديّ صداع.»

«صوتك مبحوح، ربما أنت مصابة بزكام، ما كان لك أن تنهضي من سريرك، امكثي هذا النهار في البيت في سريرك.»

إحتجت بضعف رغم سرورها بعدم الذهاب إلى العمل، انها ترى كاسبيان كثيراً هناك، وسترتاح بغيابها هذا.

قال لها بإصرار: «انك تتعبين في العمل، والراحة تفيدك.»

حالما غادر المنزل إلى المكتب، عادت جينا إلى سريرها ونامت معظم الصباح، مغلقة ستائر الغرفة.

عندما استيقظت كانت الساعة الحادية عشرة والنصف، وقد زال صداعها، وهكذا اغتسلت واقفة تحت الدوش مغمضة العينين شاعرة بالإسترخاء البالغ، جففت شعرها وارتدت معطف الحمام الأبيض القصير ثم اخذت تجول في أنحاء غرفتها، حافية القدمين، تختار ما تلبسه.

وفي الطابق الأسفل، اخذ جرس الباب في الرنين، تجاهلته في البداية، متوقعة من مديرة المنزل أن تجيب،

أخذت تبحث خلال ملابسها في الخزانة بتكاسل، بنطلون جينز وكنزة؟ ثوب صوفي؟ يمكنها ان ترتدي أي شيء مادامت لن تذهب إلى المكتب، توقفت عابسة وهي تدرك أن الجرس مازال يرن، أترى مديرة المنزل في السوق؟

ذهبت إلى النافذة تنظر منها، وإذا بها ترى سيارة رولز رورييس امام الباب، ربما شعر الرجل العجوز بالقلق عليها فجاء يمر عليها في طريقه إلى الغداء، بصحبة أحد المديرين.

إذا لم يفتح أحد الباب سيزداد قلق الرجل العجوز، وهكذا ركضت جينا هابطة السلم حافية القدمين، في روب الحمام وشعرهاالرطب يحيط بوجهها المتوهج، فتحت الباب بابتسامة بريئة، ثم... جمدت في مكانها فاغرة الفم: «أنت!»

عند ذلك فقط أدركت انها أخطأت التفرقة بين سيارته الرولز رويس وسيارة السير جورج نفس الماركة واللون.

أجابها نيكولاس ساخراً ببرودة: «نعم، أنا.» بينما كان يدخل قبل أن تغلق الباب في وجهه.

قالت له وهي تضم أطراف الروب حولها. «لم أدعك إلى الدخول.»

قال ببطء: «أغلقي الباب، الريح قارسة.»

كانت رياح الشتاء تجتاح الردهة، ما جعلها ترتجف، وهكذا صفقت الباب بعنف جعل الصوت يتجاوب في أنحاء المنزل، قال وهو ينظر إليها هازلاً: «يا لها من طباع.»

قالت مهددة: «لو علم السير جورج بأنك هنا لما أعجبه ذلك، وهو قد يعود في أية لحظة.»

قال ضاحكاً: «انه لن يأتي، فقد رأيته لتوّي ذاهباً لتناول الغداء مع بعض الرجال.»

عضت شفتها: «آه...» لن يأتي السير جورج، ماذا إذا لم تعد مديرة المنزل قبل ساعات، هي أيضاً؟ انها ستكون وحدها هنا، في هذا البيت... مع نيكولاس.

قال نيكولاس: «اخبرني انك بقيت في البيت لأنك مريضة، فجئت لأطمئن عليك... لا يبدو عليك المرض...» ثم أخذ ينظر اليها بإمعان، فابتلعت ريقها وقد احمر وجهها: «لقد تحسنت كثيراً الآن، فقد نمت جيداً.» وسكتت بيأس وهي تفكر في طريقة من اثنتين، إما ان تقنعه بالرحيل، وإما الصعود لترتدي ثيابها، انها لا تستطيع البقاء اكثر من ذلك في روبها الرطب هذا، الذي يكشف الكثير من جسمها امام عيني نيكولاس.

قال لاوياً شفتيه: «لقد شفيت بسرعة.»

«لم يكن سوى صداع، و... ظن السير جورج أنني قد اكون مصابة بزكام... فأصّر عليّ بالبقاء في سريري.»

أخذت جينا ترتجف، شاعرة بانزعاج بالغ من الجو السائد بينهما.

مهما كانت أسباب نيكولاس التي تدفعه إلى ملاحقتها، لم تكن تنكر تأثيره عليها، وتسارع خفقات قلبها، قد تحدث نفسها بأنها تكرهه وتحتقره، ولكن مهما كان عقلها هادئاً منطقياً، جسدها كان تتملكه مشاعر أخرى، لم تستطع احتمال نظراته فأشاحت بوجهها، مخفضة بصرها. عند ذلك سمعت أنفاس نيكولاس قريبة منها وهو يقول بصوت مبحوح: «تبدين جذابة جداً في هذا الشيء، إن مجرد النظر

اليك يذهب بعقلي.» فشعرت بقلبها يتخبط كسفينة في بحر هائج، وإذ تملكها الرعب لمشاعرها العنيفة هذه، أخذت تتمتم: «إبتعد عني.»

قال غاضباً: «ما الذي حدث لك؟ هل أنت ببرودة الحجر، أم هذه هي طريقتك في معاملة الرجال؟ هل هذه مجرد خطة تتبعينها؟ هل بهذا جعلت جايمس تيريل يتزوجك؟ رافضة ان تدعيه يلمسك فجعلته بذلك مجنوناً بك إلى حد أصبح معه مستعداً لعمل أي شيء لكي يحصل عليك؟»

شحب وجهها بينما التمعت عيناها الخضراوان غضباً: «لقد احببنا، أنا وجايمس، بعضنا البعض، فلا تحاول جعل حبنا ذاك يبدو قبيحاً، ما هذا التفكير السافل؟»

توترت ملامحه وأخذ يحدق إلى وجهها لحظة، قال بعدها بخشونة: «أنا آسف، فالحق معك. ما قلته لك لا يحتمل الصفح.»

أجفلت لهذا الإعتذار منه، إذ كانت تعلم كم هي نادرة اعتذاراته عما يقول أو يفعل، لم تستطع احتمال نظراته المتفحصة فخفضت بصرها.

همست تقول: «انك تخيفني أحياناً حين... تكون في هذا المزاج... انك... ذو مفاجآت.»

ضحك بصوت منخفض: «لا يبدو هذا أمراً مفاجئاً بالنسبة إليّ. نحن نعرف بعضنا البعض الآن منذ أسابيع ولكنني لا أشعر بأنني وصلت معك إلى نتيجة، أريد أن أعرفك بشكل أفضل.»

«إذا كنت تظن حقاً أنني احتلت على جايمس لكي يتزوجني، فأنت لا تعرفني على الاطلاق.»

عبس بحدة قائلاً: «انسي أنني قلت ذلك، فهو قول دنيء مخجل، وأنا لا ألومك لغضبك مني، إنني لا أعتقد ذلك حقاً، فأنا أعرف انك لست من هذا النوع من النساء، ولكنني كنت غاضباً فقلت هذا لكي أوْلمك...»

قالت له بارتباك: «ولماذا تريد أن توْلمني؟»

نظر في أعماق عينيها، ثم عاد فحول نظراته بعيداً وهو يلوي شفتيه.

«إذا كنت لا تعلمين، سأخبرك، إسمعي، عليّ ان أسافر إلى لكسمبورغ في الأسبوع القادم، لماذا لا تأتين معي؟»

فأجفلت: «آتي معك؟» وعادت أنفاسها تتسارع.

«انها فكرة حسنة بالنسبة إليك، لزيارة مركز أعمالي، ستتعلمين الكثير عن مؤسسة كاسبيان الدولية، إذا انت سافرت إلى هناك. وأنا واثق من أن السير جورج سيوافق.»

«آه، رحلة عمل...» قالت ذلك فنظر إليها من بين أهدابه، نظرة حميمة ذات معنى جعلت وجهها يعود إلى الإحمرار. ثم قال: «يمكننا مزج العمل مع المتعة.»

شعرت للحال بالفرح يتملكها، ولكنها لم تكن تثق به، وكيف يكون ذلك وهو يتهمها بالإحتيال لجعل جايمس يتزوجها؟ انه لا يعرفها، ليس ثمة رجل يظن بها شيئاً كهذا، ويمكنه الإدعاء بأنه يعرفها أو يفهمها، قابلت عينيه، مجاهدة في سبيل أن تجعل ملامحها جامدة، ثم قالت بحزم وبرودة: «كلا.»

فقال عابساً: «هل أنت خائفة، يا جينا؟»

فقاطعته: «كلا، لست خائفة، كل ما في الأمر هو انني لا أريد الذهاب معك.»

بدا الغضب في عينيه، فأسرعت تفتش عن عذر: «إنني اكره حالياً الابتعاد عن السير جورج وتركه وحده، إنه رجل عجوز و...»

«لا بد أن بإمكانه أن يستغني عنك عدة أيام.»

«إنه بحاجة إليّ.» قالت ذلك ثم سكتت بعد أن رأته يقترب منها بشكل خطر، وفجأة اخذ قلبها يخفق بعنف.

ثم قال بصوت أجش: «وأنا بحاجة اليك.» رأت الرغبة في عينيه، ما جعلها ترتجف، ابتعلت ريقها ثم همست: «انا آسفة، ولكن... لا استطيع...» ثم تراجعت مبتعدة عنه وعيناها عليه كأرنب مسمّر عينيه على ثعلب وقد منعه الرعب من الهرب.

سألها بصوت حاد، وقد تجهمت ملامحه: «لماذا لا؟ هل هناك رجل آخر؟»

قالت بيأس: «نعم، هذا صحيح.»

فالتهبت عيناه: «من هو؟»

«هذا ليس من شأنك!»

«إنني اجعله من شأني، إنني احلم بك بشكل بدت معه الأسابيع القليلة التي عرفتك فيها، وكأنها سنوات، جينا يجب أن تأتي معي إلى لكسمبورغ.»

أخذت ترتجف لمجرد التفكير في ذلك وتصوره. «اننا سنقيم في شقتي في لكسمبورغ عدة أيام، انك ستعشقين ذلك المكان، المناظر المشرفة عليها تخطف الأنفاس بروعتها، النظر من النافذة وحده يدير الرؤوس، يمكنك اثناء عملي الذهاب إلى السوق والاستمتاع بالتفرج والشراء، وعندما ينتهي عملي نهرب إلى بيتي الصيفي

في الغابة... إنه لا يبعد سوى ثلاثين ميلاً عن المدينة، ولكننا سنبقى اليومين الأخيرين هناك وحدنا فيه.»

هتف قلبها له، فاضت في نفسها أشواق مكبوتة منذ سنوات، تمنت لو تقول له نعم، ولكن... ما هذا الذي يقدمه لها؟ علاقة قصيرة، ساعات قليلة من السعادة، ثم... ينتهي كل شيء؟

كلا... انها لن تستسلم... إذا فعلت هذا ستكره نفسها، كما من الوقت سيمضي قبل أن تعود فتراه مع كريستا نوردستروم، أو مع امرأة أخرى؟ ألن يكون عليها أن تحتمل آلام الغيرة، أو مشاعر المذلة؟ كان الآن يكاد يلتصق بها، فمدت يديها ثم دفعته عنها بعنف، وإذ لم يكن مستعداً لهذه الحركة، فقد توازنه فتراجع إلى الخلف وهو يشتم من بين أسنانه.

قالت له وهي ترتجف: «دعني وشأني، يا نيكولاس، مهما كان ما تقوله أو تفعله، فالجواب هو دوماً، كلا. لا أريد انشاء علاقة معك. خذ معك امرأة أخرى إلى لكسمبورغ.»

استغرق تمالكه لنفسه لحظة أو اثنتين، ثم نظر اليها غير مصدق، تقريباً ربما هي المرأة الأولى التي تقول له لا ثم تستمر في هذا القول رغم كل الضغوطات التي يمارسها عليها.

تمتم يقول: «لا يمكنك كبت مشاعرك طوال حياتك، يا جينا انك امرأة عاطفية، ولكنك تتجاهلين هذا منذ وفاة زوجك... محدثة نفسك بأنك لا تريدين الحب، ليس بإمكان أحد ان يستمر في هذا إلى الأبد، انك بشر مثل غيرك. من

الواضح أنك عاجلاً أم آجلاً، حتى ولو لم تتعرفي إليّ، سيحدث لك الانفجار الذي يغير حياتك، لماذا لا تواجهين رغباتك؟»

أجابت بمرارة: «رغباتي؟ انك لا تعني رغباتك طبعاً!»

قال بسرعة: «ورغباتي أيضاً، إنني أريدك، طبعاً ثقي بي يا جينا، تعالي نرحل معاً، هناك يمكننا ان نعرف بعضنا البعض بشكل أفضل مما يمكننا هنا، حيث السير جورج، سنتنال... والمعركة بأجمعها... التي لا علاقة لها بنا.»

كان يحاول معها بدهاء، وعيناه في عينيها كادت أن تصدقه حينما قال إن المعركة حول سنتنال لا علاقة لها بهما، لكنها كانت تعلم أنه يريد السيطرة على الأسهم التي سترثها يوماً ما.

انخفض صوته حتى أصبح أجش ضارعاً: «هيا يا عزيزتي، اعترفي بأنك بشر وبحاجة إلى الحب مثل غيرك... ودعيني امنحه لك.»

كانت من الرغبة في الذهاب معه بحيث اخذت ترتجف، ولكنها لن تستمع إلى صوته المغوي، فهو لم يقل إنه يحبها، ربما لم يحب امرأة في حياته، انه لن يميز الحب إذا هو وقع فيه وغرق.

قال: «اعترفي بأنك بحاجة إلى الحب، وأنا سأمنحك إياه.» لا شك في أنه ماهر في ذلك، فلديه خبرة كبيرة مع النساء، بينما هي لم تعرف سوى رجل واحد، وهذا ما جعلها في عين نيكولاس، جعلها امرأة بريئة متسعة العينين.

حسناً، انها تفضل البقاء جاهلة، على ان تتعلم ما يريدها ان تتعلمه. كيف تخدع وتكذب وتخرج مع الرجال وكأن الحب هو أهم شيء في العالم هذا.

قالت: «أنا أعترف بذلك، اعرف أنني بشر... لم أقل قط إنني لا أريد الحب، لكنني لا أريد ذلك الذي تدعوه حباً، يا سيد كاسبيان، انني غير مستعدة للقبول بعلاقة سرية... أو أي شيء آخر... معك.»

قطب نيكولاس حاجبيه وقد شحب وجهه، والتهبت عيناه غضباً: «انك تريدينني الآن... أنا اشعر بذلك... لا تكذبي عليّ.»

ردت عليه وقد احمر وجهها: «لقد اعترفت بأنني بشر، فان لي مشاعري ككل شخص آخر، لا استطيع مقاومة التجاوب آلياً عندما يلمسني شخص... ولكن هذا لا يعني شيئاً، ان أي رجل يمكنه ان يحصل على نفس التجاوب، لا شيء شخصياً في هذا.»

قال بعنف: «هذا غير صحيح، اتظنينني اصدق ذلك؟ تباً لك...»

سكت فجأة وقد تشنج جسمه عندما سمعا حركة في المنزل، صفق باب، تحركات، إرتطاماً وكأن شيئاً ثقيلاً ألقي على الأرض، ثم موسيقى عالية واصواتاً، أدركت جينا على الفور معنى هذا، لقد عادت مديرة المنزل، لا بد انها كانت تتسوق في المتاجر القريبة، وهي الآن في المطبخ تضع اشياءها أثناء الاستماع إلى الراديو.

تملكها التوتر وصدرت عنها آهة صغيرة، فالتفت نيكولاس اليها متهكماً: «هل ارتحت، يا جينا؟ لا

أدري لماذا تشعرين بالسرور لأننا لم نعد وحدنا.»

بما أنهما اصبحا في مجال السمع، قالت بهدوء: «انني مسرورة لأنني سئمت من محاربتك كما كنا وحدنا، فقط إبق بعيداً عني في المستقبل، يا سيد كاسبيان.»

سمعته يتنفس بحدة، ورأت عينيه الرماديتين المليئتين غضباً وحقداً، كان رجلاً عصرياً يرتدي ثياباً أنيقة، لكن وراء ذلك المظهر السطحي، كان هناك شيء بدائي مظلم، وارتجفت لهذه الفكرة.

شعرت برغبة في الهرب، لكنها بقيت مكانها تواجهه مرفوعة الرأس وهي ترتجف. قال لها بخشونة: «ألم تعلمي حتى الآن، أنني لا أتخلى عن شيء أريده؟ لا أنفك عن المثابرة حتى أفوز به؟ وسأفوز، يا جينا، فكوني واثقة من ذلك، كلما رفضت، إزددت أنا عزماً على الحصول على ما أريد.»

قالت له بحدة: «انك لست اكبر عزماً مني في انك لن تفوز، الجواب سيكون دوماً كلا، مهما طال بك الوقت، والآن، هل لك ان تخرج؟» واستدارت تفتح له الباب وتمسك به وقد بان العداء في وجهها.

نظر إليها طويلاً، ثم خرج صافقاً الباب خلفه بعنف، سمعت جينا مديرة المنزل تهتف بها، ثم تتقدم نحو الردهة. لم تستطع مواجهتها والتحدث إليها، فهربت عائدة إلى غرفتها تستلقي على السرير وهي ترتجف.

بعد ذلك بدقائق، قرعت مديرة المنزل بابها: «هل أنت مستيقظة؟»

«نعم، إنني أرتدي ثيابي.»

«هل كنت الآن في الطابق الأسفل؟ اظنني سمعت حركة.»

«نعم، كنت أبحث عن شيء.» ولكي تغير جينا الموضوع، سألتها بسرعة: «ماذا هناك للغداء؟»

«الذي تشتهينه، هل أنت جائعة، أم تريدين شيئاً خفيفاً مثل السمك أو العجة؟»

«عجة البيض وبعض السلطة يكفي.»

«هل أبدأ بإعدادها الآن؟ اسمعي لماذا لا تتناولين طعامك في السرير؟ قال السير جورج ان عليك البقاء في السرير اليوم.»

أجابت جينا: «بل الأفضل ان انهض، فأنا بخير الآن، سأكون في المطبخ بعد عشر دقائق.»

ابتعدت المرأة بينما ارتدت جينا بنطلون جينز أبيض وكنزة كحلية، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل. سمعت صوت الهاتف لا بد ان مديرة المنزل ستجيب عليه في المطبخ، وهكذا لم تزعج نفسها بالرد عليه، وإنما سارت نحو غرفة الجلوس، ثم فتحت جهاز التلفزيون لتسمع نشرة أخبار، بعد ذلك بلحظة، اخذ جرس الهاتف في الغرفة يرن، التفتت جينا تحدق إليه وهي تعض شفتها... ماذا لو كان نيكولاس هو المتكلم؟ ولكنها لم تستطع تجاهله، وهكذا رفعت السماعة تسأل مديرة المنزل: «من تكلم، يا دفني؟»

«شخص يدعى السيد ليدن يريد التحدث اليك، يا سيدة تيريل، هل أصلك به؟»

«نعم، شكراً.» وعندما سمعت صوت تحويل الخط، قالت: «مرحباً، يا بييت.»

«كيف حالك يا جينا؟ كان السيد جورج في باربري وارف

هذا الصباح، وأخبرني بأنك متوعكة صحياً وبقيت في البيت اليوم، أرجو ان لا يكون الأمر خطيراً.»

«كلا، مطلقاً، كنت متعبة قليلاً، وهكذا أمضيت الصباح في البيت، وأنا الآن أحسن، أظن مسألة الانتقال هذه كانت مرهقة لي، وكذلك للسير جورج.»

«نعم، لا بد انها مرهقة لكما.»

قال بييت ذلك بعطف، ثم تابع ضاحكاً: «انني أحسدك لهذا! كم أتمنى لو احظى بيوم عطلة، أنا أيضاً، ولكن العمل لا يسمح بذلك، ان نيكولاس كاسبيان هو (سائق عبيد)، انه يريد إنهاء العمل في باربرا وارف، وهو يعتمد عليّ في المحافظة على سير العمل، والذي لم يكن سهلاً، ان التعامل مع العامل الانكليزي صعب أحياناً.»

قالت ضاحكة: «تعجبني عادتك الهولندية في تخفيف الأمور.»

فقال برقة: «أنا سعيد إذ اسمع ان شيئاً من صفاتي يعجبك.»

احمر وجهها لسماعها هذا منه، بينما استطرد هو يقول: «كنت وعدتني بتناول العشاء معي، اتذكرين؟ هل ما زال الوعد جارياً، أم انك متعبة الصحة؟»

«آسفة، يا بييت، لا اظن بإمكاني الخروج، ربما نستطيع ذلك غداً.»

كانت معجبة به، فهو جذاب المنظر بالغ الظرف، ودود وذو روح فكهة، انه من ذلك النوع الذي لا يمكنها أخذه مأخذ الجد، ولكن ذلك أمر حسن، فهي لا تريد المزيد من التعقيد في حياتها، يكفي تعقد أمورها مع نيكولاس كاسبيان.

أخذ بييت الأمر بسهولة، كعادته بالنسبة لكل شيء تقريباً. «طبعاً، وإذا ساءت حالتك غداً اتصلي بي، وإلا سآتي لأخذك الساعة السابعة.»

تناولت غداءها بعد ذلك بخمس دقائق، كانت العجة رائعة، وكذلك السلطة، ولكن شهية جينا كانت ضعيفة فلم تكد تأكل شيئاً، وهي تحدق من النافذة إلى السماء الرمادية، كانت بلون عيني نيكولاس عندما يغضب، آه، لماذا هذا التفكير فيه! وغضبت من نفسها. لماذا لا تفكر في شيء آخر؟

لكن بماذا؟ في بييت؟ حاولت أن تتصوره، فتملكها الذعر، صحيح أنها تذكرت أنه أشقر الشعر أزرق العينين، إلا ان ذهنها كان خالياً تماماً من بقية ملامحه، وحاولت دون جدوى أن تتذكر وجهه.

كان السير جورج قال ان بييت هو أحد زملاء كاسبيان في الدراسة، هل علاقتهما مجرد علاقة عمل، ام انهما صديقان؟ هل هو يعلم مثلاً، بما يجري بينها وبين نيكولاس؟ لكنها لم تستطع أن تتصور أن نيكولاس يكشف أسرار علاقاته الخاصة لأي كان.

احمر وجهها لماذا استعملت كلمة (علاقة)؟ ليس بينهما أية علاقة! حاول نيكولاس التقرب منها فنبذته، ومن غير المحتمل على الاطلاق أن يخبر بييت عن ذلك، كما أن من غير المحتمل ان يخبر بييت نيكولاس أنه يخرج معها. فقد خرجت معه عدة أمسيات، تناولا اثناءها العشاء ثم ذهبا لرؤية فيلم.

كان ذلك مجرد صداقة مريحة، ولا شيء جاد، حتى ان بييت لم يحاول معها شيئاً، وقد أعجبها هذا منه، انه ليس

من النوع الذي يقوم بعلاقات عابرة، انه يختلف تماماً عن نيكولاس.

طبعاً، من الممكن جداً أن بييت يخرج معها لمجرد أنه يعلم أن نيكولاس معجب بها، فالرجال يتنافسون لمجرد إثبات شخصيتهم، ولكنها لم تستطع ان تصدق ذلك عن بييت، كلا، لو أن بييت يعلم أن نيكولاس يهتم بها، فهي واثقة من أنه لن يقدم مطلقاً على اقتحام ما يعتبره مجالاً لرئيسه.

كانت تحس بأن بييت يشعر بالرهبة من نيكولاس، وذلك بشكل ما.

إرتسمت على شفتيها ابتسامة غاضبة، لن يكون نيكولاس مسروراً إذا هو علم أنها تخرج مع بييت، ليس لأنه سيشعر بالغيرة، انها لن تخدع نفسها بهذا الشأن. نعم ان نيكولاس يريدها، ولكن ليس لأنه يحبها، ان ما يشعر به مجرد رغبة جسدية.

انه يريدها لأنها تقاومه، وليس لأنه يحبها، انه يحب الصيد، والفوز يرضي زهو نفسيته، انه يريد ان يضيفها إلى قائمة نسائه كما أضاف الصحيفة سنتنال إلى قائمة صحفه، نيكولاس كاسبيان القائد الأسطوري، حسناً انها لن تصبح إحدى غنائمه، مثل كريستا نوردستروم، أو من هن قبلها.

انها ستخرج مع بييت وتمتع نفسها، وتنسى كل شيء عن نيكولاس كاسبيان، ان عليها أن تنساه بقية حياتها، ومن الأفضل أن تبدأ من الآن.

الفصل السابع

غادر نيكولاس لندن إلى لكسمبورغ في العطلة الأسبوعية التالية. وشعرت جينا بالارتياح عندما لم تره على انفراد مرة أخرى قبل ذهابه، لم تستطع تجنبه بشكل مطلق، بالطبع، فهو يزور السير جورج معظم الأيام وهي دوماً بصحبة الرجل العجوز، حيث تساعده على الجلوس والوقوف، وتضع امامه الرسائل والملفات، وتراقب مقدار نشاطه وطاقته، مستعدة للذهاب به من المكتب حالما تبدو عليه دلائل انهيار.

في كل مرة يجمعها المكتب مع نيكولاس، كانت تشعر بعينيه تراقبانها، كانتا تتراءيان لها أشبه بشقين فولاذيين بين أهداب سوداء، ثلجيين متألقين كخنجرين قاتلين، فكانت تسارع بتحويل نظراتها، عند ذلك ينبعث منهما اللهب ويتلاشى الثلج. كانا ينفثان غضباً ورغبة، ما كان يجعلها تجفل، متسائلة لماذا لا يرى غيرها ذلك الشرر الذي يملأ جو الغرفة؟

ويوم الجمعة قال للسير جورج بجفاء: «حسناً، إنني مسافر إلى لكسمبورغ هذه الليلة في طائرتي الخاصة، فإذا احتجت إليّ، رقم هاتفي في المكتب، إنني سأذهب إلى برلين بعد انتهاء اجتماع مجلس الإدارة، وذلك لمعالجة مشكلة صغيرة لدينا هناك، وبعد ذلك اذهب إلى مدريد حيث

المدير المنفذ قد أرغم على التقاعد.» وإذ رأى نظرة الإشمئزاز التي رمقه بها السير جورج، سارع يقول: «كلا، أنا لم أطرده، فقد أصيب بنوبة قلبية، إنه سيعيش، ولكن عليه أن يراعي قلبه فلا يجهد نفسه، وهكذا ترك ولم يتجاوز الخمسين، انها مأساة بالنسبة إليه وإلينا. إنه رجل لامع الذكاء، وعليّ اختيار خلف له.»

سأله السير جورج: «ومتى ستعود؟»

هز نيكولاس كتفيه وهو يرمق جينا بنظرة خاطفة: «لست واثقاً، سأعلمك بذلك.»

واستدار وكأنه سيغادر المكتب، ثم عاد فوقف وهو ينظر من فوق كتفه قائلاً بهدوء: «قد يكون مفيداً بالنسبة إلى السيدة تيريل أن تحضر إلى لكسمبورغ لحضور هذا الاجتماع، سيكون لديها فكرة أوضح عن العمل في المؤسسة الدولية.»

أجفل السير جورج ورمقها بنظرة سريعة مترددة: «أظن هذا صحيحاً... لم يخطر لي ذلك. هل تريدين الذهاب، يا جينا؟» لقد ترك القرار لها، أحست بأن نيكولاس كان يرجو أن يصر عليها بذلك، ولكن إذا كان ذلك صحيحاً، فسيخيب أمله.

قالت بعذوبة وهي تقابل نظرات نيكولاس الملتهبة غضباً، بنظرة انتصار، قالت بآهة ساخرة: «آه، يا للأسف، فانا مشغولة جداً هذا الأسبوع.»

قال من بين أسنانه وقد بدا الغضب المكبوت في صوته: «حسناً جداً، قد اتحدث إليك من لكسمبورغ يومياً، ولكن إذا بدت أي دلائل على احتمال حدوث مشاكل، أعلمني حالاً.»

سأله السير جورج: «هل تتوقع ذلك؟»

فأجابه عابساً: «عندما يغيب الهر، يلعب الفأر.»

قال الرجل العجوز بعبسة هازلة: «لا أظنهم يحبونك.»

فأجاب بحدة: «هذا لا يهمني، الشعبية ليست في قائمة أهدافي لهذا العام.»

تمتمت جينا وهي تنظم الأوراق التي كان يناقشها مع السير جورج: «وهم أيضاً.»

فالتفت إليها مكشراً: «ما معنى هذا؟»

«انها مزحة فقط.»

تذكر نيكولاس وجود السير جورج، فابتسم مرغماً: «انها ليست مزحة موفقة.»

«أنا آسفة.» قالت ذلك خافضة بصرها، لكن أحاسيسها بأجمعها كانت معه، تنفسه بعنف، خشخشة مستنداته وهو يأخذها، رائحة محلول بعد الحلاقة التي يستعملها.

ثم التفت إلى السير جورج: «يجب ان أغادر.» ثم سمعته يسير نحو الباب، والرجل العجوز بجانبه.

لن تراه قبل أسبوع، وربما اكثر، أبطأت خفقات قلبها بتثاقل. لكنها لم ترفع بصرها، متظاهرة بالانشغال حتى عن ملاحظة ذهابه، سمعته يودع السير جورج عند الباب، أحست به ينظر إلى الخلف، ثم ذهب، دون أن يوجه إليها كلمة أخرى، فشعرت وكأن جزءاً منها انفصل عنها.

تتابعت الأيام، لقد بدا الأسبوع لها دون نهاية، رغم انشغالها التام في المنزل وفي المكتب، كان العد العكسي للانتقال إلى باربري وارف قد ابتدأ الآن، وانشغلت آلات تمزيق الأوراق في التخلص من انتاج أجيال من الورق في

جميع الأقسام، الخزائن المليئة بالعناكب فتحت وغسلت، وخزائن الملفات أفرغت، والأثاث القديم ألقي به خارجاً لأن أثاث المبنى الجديد كان حديثاً بأجمعه.

طاف السير جورج بالمبنى الجديد عدة مرات، متكئاً على ذراع جينا، زائراً كل قسم بدوره، متذكراً الماضي، وربما يطبع الصور في ذاكرته قبل ان تتلاشى، كان يتكلم طوال الوقت عن (الأيام الماضية) وقد نسي كما يبدو، انها لم تكن موجودة حينذاك. في قسم المحاسبة، أخذ يحدق في امرأة شابة جالسة امام الكمبيوتر، ثم هز رأسه: «عندما ابتدأت العمل هنا، كان المحررون يرتدون معاطف سوداء وياقات منشاة، واضعين على أعينهم ظللاً خضراء إبعاداً للإرهاق عنها، امامهم المحابر النحاسية ويكتبون بأيديهم بالقلم والحبر.»

«يبدو وكأنك تصور مشهداً من عهد ديكنز.» قالت جينا ذلك مسرورة لأنها لم تعمل في مكتب في ذلك الزمن.

أخذ السير جورج يضحك: «هذا صحيح، هذا صحيح، لكن الجو كان رائعاً، كنت أراه شاعرياً.» نظر في أنحاء الغرفة العصرية المتألقة المضاءة بالفلورسنت من السقف، وألوان الجدران العاجية، وقد كسيت الأرض بالسجاد، ثم قال باشمئزاز: «لا يمكنك ان تصفي هذا بالشاعرية.»

فقالت جينا برقة: «ولكن ربما هذا مريح اكثر.»

فشخر ساخراً: «حسناً، فلنذهب إلى قسم الطباعة الآن.»

سارا نحو المصعد متكئاً على ذراعها بينما كانت تقطب جبينها قلقاً، كان ضعيفاً للغاية، فهو يكبر كل يوم، وهذا ذنب نيكولاس، لقد سلب السير جورج السبب الذي يجعله

يعيش... ميراث أسرته... هاجس حياته... صحيفته سنتنال.

قال السير جورج وهو يدخل الأقبية المعتمة لعالم الطباعة حيث كان ضجيج الآلات يصم الآذان.

نظرت جينا حولها عابسة، ولكن لم يبد على وجه الرجل العجوز أي تأثير، لقد كان يفكر مستغرقاً في الماضي الذي لن يعود.

«عندما كنت تلميذاً، قبل أن أبدأ العمل في الصحيفة بزمن طويل، أتذكر أول مرة رأيت فيها اندفاع عمال الطباعة وهم يخرجون في فترة الإستراحة، كانوا يتدفقون صاعدين من مركز الطباعة كالنهر، عابرين الشارع إلى حيث المقهى، كان الرجال متعبين، حمر الوجوه، لا يرتدون سوى القمصان والبنطلونات أو يرتدون المآزر... وحلوقهم جافة كالرماد، فالمكان تحت الأرض حيث يعملون، يكون أثناء الصيف أشبه بالفرن، حتى أثناء الشتاء يكون أحياناً حاراً للغاية.

نظرت جينا حولها، إلى الجدران القذرة، السقف المعتم، الماكينات، فلم تشعر بالحنين الذي يشعر هو به، قطبت جبينها: «إنني أكره العمل هنا، يخيل إلي انهم يفضلون بسرور، الانتقال إلى العمل في مكان العمل الجديد، بدلاً من التهديد بالإضراب لأجل ذلك، فكر كم ستكون حياتهم سهلة وهم يعملون في محيط عصري وافر النور بدلاً من الاقبية هذه.»

فقال السير جورج مكتئباً: «الناس يحبون ما ألفو، لم أعد أحب، أنا نفسي، الانتقال إلى مجمّع باربري وارف،

كنت أظنني أحب ذلك، ولكنني اكبر سناً من أن أرضى بتغيير حياتي، إن اليوم الذي نترك فيه شارع فليت ستريت للصحافة، سيكون اليوم الذي تنتهي فيه حياتي العملية، لم اكن نويت ذلك من قبل، ولكن شكراً لكاسبيان أن جعلني أفكر بذلك، أنا وكثيرين غيري ممن عملوا في سنتنال طوال حياتهم.»

أخذت تمسح ذراعه بوجنتها وهي تكاد تبكي. «دع عنك هذا التفكير، فستبقى في العمل على الدوام، إنك ستبقى في الصحيفة بعد انتقالنا، وستبقى الرئيس دوماً.»

ضحك عابساً: «لا أدري، فأنا لا أثق بكاسبيان، منذ دفع كل رأسمال المال ذاك في الصحيفة وأنقذنا من المشاكل، أصبح أعضاء مجلس الإدارة يأخذون راتبهم منه، ويصدقون كل ما يقوله، ولكنهم لا يعرفون حقيقة الرجل.»

«وهل أنت تعرفه؟» سألته ذلك مترددة، متمنية لو أنها هي تعرفه حقاً، هذا الرجل الذي يحكم امبراطورية صحافية واسعة هو نفسه الرجل الذي يلاحقها بعزيمة تملكية لا هوادة فيها.

قال السير جورج بجفاء: «أنا متأكد من شيء واحد، وهو أن ليس بإمكان أحد ان ينشيء امبراطورية بهذه الضخامة دون أن يكون بقسوة أتيلا الطاغية رئيس الهون، لقد اخترق كاسبيان أوروبا، أثناء العقد الماضي كما يخترق السكين قالب الزبدة، لقد ورث مجموعة صحف عن أبيه منذ خمسة عشر عاماً، فضاعفها اكثر من أربع مرات، المرء لا يقوم بذلك في مثل هذه المدة القصيرة باستعمال الشهامة والرفق بالحيوان، إنني اشك في أن هناك من يعلم بالضبط ما هي

الطرق التي استعملها لكي يحصل على ما يريد، ولكن كل شخص يعلم أنه رجل من الصعب جداً التعامل معه، وبالرغم من تطمينه لي بالنسبة إلى مستقبلي في مجلس الإدارة، بالرغم من ذلك لا اشعر بالأمان.»

سكتت جينا وقد شحب وجهها، وعادا بعد ذلك إلى طابق الاجتماعات ليتمكن السير جورج من ترأس اجتماع آخر لرؤساء الأقسام لم يكن يريد من جينا أن تحضره، وهكذا عادت إلى مكتبها حيث وجدت هيزل تمعن النظر في رسم بياني يمثل المراحل التي ستجتازها الصحيفة عندما تنتقل إلى باربري وارف.

قالت هيزل بأسف: «ما زال التوقيت يبدو لي مبهماً، هذا الرسم البياني بالغ الجمال بألوانه المختلفة التي تمثل التواريخ والأوقات والأقسام، ولكنني مازلت غير واثقة من أنه لن يحصل نوع من الفوضى والارتباك في نفس الأسبوع الذي سننتقل فيه.»

قالت جينا: «كفى قلقاً، في مثل هذا الوقت من السنة القادمة سننسى تماماً أننا كنا نعمل في مكان آخر.»

رن جرس الهاتف فرفعت هيزل السماعة، تقول: «مكتب السير جورج تيريل... آه، أهو أنت؟»

دهشت جينا للهجتها الثلجية، وأخذت تحدق إليها، أهو نيكولاس عاد يتصل من مدريد مرة أخرى؟ أتراه عاد بشكل غير متوقع؟ أخذ قلبها يخفق بسرعة جعلتها تشعر بالدوار، بينما كانت هيزل تقول بنفس البرودة: «نعم، انها هنا.» ثم ناولت السماعة إلى جينا قائلة لها: «آسفة، نسيت أن هذا مكتبك، المخابرة لك.»

«من هو؟» سألتها جينا دون أن تمد يدها خشية من أن يكون نيكولاس.

أجابت هيزل: «بييت فان ليدن.» ثم دست السماعة في يدها واستدارت خارجة من الغرفة، فأخذت جينا تحدق في أثرها عابسة، ان لدى هيزل ذاكرة قوية، لأنه كان فظاً معها في أول تعارفهما به، أصبحت تكرهه، ما جعل الرجل المسكين حائراً مرتبكاً، فقد تعود أن يكون محبوباً في أي مكان يذهب إليه.

قالت جينا تخاطبه: «مرحباً، يا بييت.»

فسألها باكتئاب: «لماذا تكره تلك المرأة سماع صوتي؟ ما ان أقول لها مرحباً، حتى ترد عليّ بحدة وكأنها تمساح جائع.»

فقالت جينا ضاحكة بعجز: «آه...» كيف يمكنها أن تخبره بأنه سبق وجرح كرامة هيزل بعدم انتباهه إليها لأنه كان مشغولاً بالنظر إلى امرأة أخرى؟ خصوصاً وأنها هي المرأة الأخرى تلك؟

سألها بييت: «أو ربما الأمر ليس خاصاً بي وأنها تكره الرجال عموماً.»

فقالت له بجفاء: «بل هي تحب الرجال، وهم يحبونها.»

فقال بشكل عفوي وكأنه سئم الموضوع: «آه...» ثم عاد يسأل: «اتراها تخرج مع شخص ما؟»

ضحكت جينا: «الرجال الحسنو المظهر يلتفون حولها على الدوام، وإذا أنت جئت إلى حفلة وداع شارع الصحافة فليت ستريت الكبرى، ربما رأيت آخر صديق لها، لا اعرفهم جميعاً، فهي لا تنفك تغيرهم.»

فقال: «أحقاً؟ لا استطيع أن اتصورها بهذه الجاذبية، فهي تبدو كيساً من الثلج، انها ذات كفاءة طبعاً، ولكنها بعيدة عن الروح وهذا ما لا يعجبني.»

كان يبدو بهذا الكلام هولندياً صميماً وهذا يعني عادة أنه إما مستاء، أو متوتر، وتساءلت جينا عما يمكن أن يكون عليه الآن. وكان هو يتابع قائلاً: «لكنني انتظر تلك الحفلة بفارغ الصبر، هل صحيح انكم ستستعملون فندقاً بأكمله للحفلة؟»

«نعم، وهو فندق المدينة القديمة. ستكون الحفلة في القاعة الكبرى، وسيطلب كثير من الناس البقاء بدلاً من الذهاب إلى بيوتهم في الصباح الباكر، وهكذا اقترح السير جورج استئجار الفندق بأكمله، وقد وافق اصحابه لأن الموسم الآن كاسد بعد فترة العيد كما أن الربيع مازال بعيداً، وهو فندق كبير تماماً وذو بناء قديم رائع، ومن حسن الحظ انه ملاصق لشارع الصحافة.»

«أظنكم جميعاً في غاية الابتهاج لقرب الانتقال إلى باربري وارف.»

فقالت بجفاء: «حسناً في الواقع، اظن الموظفين ابتدأ الذعر يدب فيهم لأنه مازال امامهم الكثير ليقوموا به، هيزل تنوء تحت عبء العمل، لكنها صبور للغاية وحسنة الطبع، انها لا تنهار كغيرها.»

كرر بييت بتهكم: «صبور حسنة الطبع، أترانا نتحدث عن نفس المرأة؟»

«انك متحامل عليها.» قالت ذلك وهي تضحك وتنظر من فوق كتفها خشية من أن تكون هيزل في نطاق السمع، ثم

سألته بسرعة: «لماذا اتصلت بي يا بييت؟ هل لمجرد الحديث؟ إذ رغم أنس الحديث معك، إلا ان المفروض ان اكون في عملي الآن، وعندي الكثير منه.»

«كلا، بل لأدعوك إلى حفلة افتتاح فيلم غداً، إنني اعرف احدى نجمات الفيلم، بيانكا فالنسا، فقد كنت صممت لها فيلا في ايطاليا أثناء عطلة لي أمضيتها هناك، ومنذ ذلك الحين ونحن على اتصال ببعضنا البعض، وقد أرسلت لي الآن تذكرتين هدية لحفلة افتتاح الفيلم.»

«ماسم ذلك الفيلم؟»

«مشهد ضوء القمر.»

«آه، نعم، لقد سمعت بهذا الفيلم ويسرني جداً حضوره، هل علينا أن نرتدي ثوب سهرة؟»

«طبعاً، فهذا أفضل في مثل هذه المناسبات.» وبعد لحظة انتهت المخابرة.

وضعت جينا السماعة ثم عادت إلى عملها، وبعد ذلك بدقائق عادت هيزل، ألقت عليها جينا نظرة جانبية وهي تبتسم بأسف: «انه شاب ظريف حقاً.»

«ظريف معك وليس معي.» قالت هيزل ذلك ببرودة، فأخذت جينا تنظر إليها بإمعان، يبدو ان الحظ جعل الاثنين هيزل وبييت ضد بعضهما البعض، ربما نبذباتهما متناقضة.

قالت هيزل: «هل يمكننا الانتهاء من هذا الموضوع؟ ان لدي كثيراً غيره، عليّ القيام به.»

تنهدت جينا ثم تركت الموضوع، وبعد ذلك بفترة سألتها هيزل بلهجة عفوية: «ما الذي كان يريده، على كل

حال؟ إلى أين سيأخذك هذه المرة؟ إلى مسرحية أم إلى عشاء؟»

«انه يعرف الممثلة بيانكا فالنسا، وقد اعطته تذكرتين مجاناً لحضور حفلة افتتاح آخر فيلم لها. يبدو أنها ستكون حفلة متألقة.»

مضت فترة طويلة قبل أن تعود هيزل إلى الكلام متمتمة: «هل كان يخرج معها كما كان يبني لها بيتها؟ أظنه كان مقرباً منها أليس كذلك؟»

فقالت جينا: «اظنه كان مجرد عميل لها.»

منحتها هيزل ابتسامة غاضبة ساخرة: «أهذا ما أخبرك به؟ انها دوماً مذكورة في الصحف في أعمدة الفضائح، فهي دوماً مع رجل جديد، يبدو أنها تحب الرجال، وشخص مثل بييت فان ليدن أجمل من ان يقتصر دوره معها على علاقة العمل، لا بد أنه فتنها بوسامته، إذ انه أشبه بنجم سينمائي، أليس كذلك؟»

أجفلت جينا ونظرت إليها مفكرة: «لم اكن اظنك معجبة به.»

احمر وجه هيزل وقالت بحدة: «أنا لست معجبة به، لكنني لست عمياء.»

قالت جينا باسمة: «كلا.»

سألتها هيزل بارتياب وقد احمر وجهها: «ما الذي يضحكك؟»

«لا شيء، فقط...»

«(فقط) ماذا؟»

«لا شيء، هل أنهيت عملك الآن؟»

كانت جينا تتساءل أحياناً عما عسى أن يكون شعور هيزل الحقيقي تجاه بييت.

لم تكن بحاجة لإلقاء هذا السؤال على نفسها، فقد كانت تعلم أن من غير الممكن أن تقع في غرام بييت، رغم اعزازها له وسرورها بصحبته، كانت علاقتهما حالياً مجرد مرح، ودون توتر، لم يكن بييت يطلب منها شيئاً، أوضح أنه يراها جميلة وأنه يكنّ لها بالغ المودة ولكنه لم يحاول معها شيئاً.

كانت جينا تستمتع بصحبته وهو يطوف بها أنحاء لندن أثناء عطلات آخر الأسبوع حيث تتفرج على المتاحف ومعارض الفنون، والمباني الشهيرة، وكان هو من جهته يعشق مثل هذه النزهات حيث كان يريها المباني القديمة متحدثاً عن تواريخها وهندستها، كان واسع المعرفة بشكل مدهش، وأذهلها معرفته بكل هندسة أوروبا.

جعلها تشعر بالغباء وبعدم فائدتها لأنها لم تبذل جهداً أو وقتاً في تعلم مهنة معينة، أو اكتساب معرفة عميقة من نوع ما، قالت شيئاً من هذا النوع فيما بعد: «لقد ابتدأت أفكر في ان اتوقف عن العمل هنا والابتداء في أخذ دورة عن الصحافة، أو إدارة الأعمال أو أي شيء آخر، لقد تعودت الشعور بالسرور في العمل عند السير جورج، ولكنني كنت ألهو فقط في العمل، لكنني الآن أدرك أنني مجرد هاوية في دنيا الأعمال.»

فقالت هيزل غاضبة: «هل هذا ما يغذيك به بييت فان ليدن؟ لا تهتمي به! لا بأس انه يعلم الكثير عن الهندسة، حسناً... هذا عمله! ولكنك تعلمين الكثير عن الصحافة. فأنت

لست مجرد هاوية، صحيح أنني أنا تدربت على الصحافة في معهد، لكنك تدربت أيضاً في العمل... وانت تحسنينه جيداً، فأنت تعاملين الناس بعطف، وانت كفؤ كما انك تديرين منزل السير جورج، وتهتمين بحميته الغذائية وترعينه، هيا... ان لديك مهارات كثيرة! فإذا كان عليه أن يدفع لبعض الناس أجراً على القيام لأجله بكل هذه الأعمال التي تقومين بها أنت، فسيكلفه ذلك ثروة، فهو بحاجة إلى ممرضة، ومرافقة، ومساعدة خاصة...» وإذ اخذت جينا تضحك، قالت هيزل غاضبة: «لا تضحكي فأنا أعني هذا، فلا تبخسي نفسك حقها بهذا الشكل، أو تدعي بييت فان ليدن يقوم بذلك.»

قالت جينا بعطف: «انه لا يفعل ذلك، ولكن شكراً لثقتك هذه وتشجيعك لي، وأنا على كل حال، لن أهجر الرجل العجوز مهما كان الأمر، فهو بحاجة إليّ، فأنا كل ما لديه.»

«انه محظوظ بك.» قالت هيزل هذا بعناد ثم نظرت إلى ساعة الجدار وتأوهت: «الساعة الخامسة تقريباً ومازلنا لم ننه عملنا بعد.»

«آسفة، فهذا ذنبي، فأنا اتكلم اكثر مما أعمل.» قالت جينا ذلك وهي تلوي شفتيها، ومن ثم ركزتا افكارهما على العمل، إذ لم يبق، للانتقال الكبير إلى باربري وارف،سوى القليل من الزمن.

استدعاهما السير جورج إلى مكتبه قبل أن تذهب هيزل إلى منزلها، سألهما عن سير العمل، فأكدّتا له معاً بأنهما سينهيان العمل بسرعة، بينما كانتا تتجنبان النظر إلى بعضهما البعض.

قال باسماً: «هذا حسن، كنت افكر في ان تذهبا معاً إلى باربري وارف لكي تتآلفا مع وضع المكاتب الجديدة قبل انتقالكما إليها. غداً صباحاً هو وقت جيد لهذا، إنني سأكون خارج المكتب ولن احتاج إلى أي منكما، خذا تاكسي إلى هناك رواحاً ومجيئاً.»

وفي اليوم التالي عندما خرجتا لتستقلا تاكسي، وجدتا أن الجو قد تغير فجأة فأصبح ممطراً عاصفاً، غائم السماء، كان مبنى المجمّع قد انتهى الآن رغم ان العمال كانوا في كل مكان، يضعون اللمسات الأخيرة للمبنى.

صفر سائق التاكسي وهم يصعدون نحو البوابة الألكترونية والتي يقف حارس على مدخلها. «انه أشبه بالحصن، أليس كذلك؟ كيف ستدخلان؟»

فقالت هيزل وهي تخرج بطاقة رسمية: «ان لدينا اوراق عبور.»

قال السائق: «لا أحب الدخول إلى هناك، هل لديكما مانع إذا أنا انزلتكما هنا؟»

فقالت هيزل: «في هذا المطر؟»

ولكنها خرجت مع جينا من التاكسي، ثم عرضتا بطاقتيهما على الحارسين، وانفتح لهما الباب الجانبي للبوابة الرئيسية فدخلتا منه.

كان ثمة جدار عال أسود اللون يحيط بالمبنى بأجمعه، وكان عليهما اجتياز طريق سيراً على الأقدام لكي تصلا إلى مبنى المكاتب وإذ كان المطر ينهمر عليهما، أخذتا تركضان لتصلا إلى المبنى بأسرع ما تستطيعان ومعطفاهما يلتفان حول كاحليهما.

كان للمدخل الرئيسي بابان مزدوجا الزجاج ودهشت جينا وهي ترى بييت واقفاً في انتظارهما، وشعره الأشقر الناعم يلمع، وفي عينيه الزرقاوين نظرة ترحيب وهو يلوح لهما بيده، فابتسمت له جينا بمودة. لم تبتسم هيزل وإنما تمتمت عابسة: «غير ممكن.» ثم خفضت رأسها في مواجهة الريح والمطر، وقد بلغ بها الغضب بحيث لم تر العقبة التي كانت في طريقها، كان احد العمال ترك دلواً مليئاً بدهان أبيض قرب الباب، صرخ بييت بها: «انظري أمامك.» ولكن الوقت كان قد فات، فقد تعثرت بالدلو فانقلب وسقطت هي فوقه ووجهها إلى أسفل، وقفت جينا ثم استدارت لترى هيزل تنهض ووجهها يقطر دهاناً أبيض، وكذلك شعرها ومعطفها الأنيق.

لسوء الحظ إنفجر بييت ضاحكاً، ولكن هيزل لم تفعل ذلك. وإذ نظرت إلى ما حدث لها، ثار غضبها وامتلأت عيناها دموعاً. «آه، انظروا إليّ، كفى ضحكاً، يا... يا... انتظر حتى... آه!» وضربت الأرض بقدمها كالأطفال وقد تقبضت يداها بجانبيها.

حاولت جينا أن لا تضحك، فقد كان هذا من اكثر المناظر التي رأتها في حياتها إثارة للضحك، ولكن هيزل لم تكن في مزاج يجعلها ترى هذا، إندفعت لتساعدها، ولكن بييت كان سبقها لذلك.

أخرج منديلاً نظيفاً أخذ يمسح به وجه هيزل بمهارة.

إختطفت منه المنديل بحدة: «دعني وشأني.» ثم اخذت تمسح وجهها بنفسها.

قال لها باسماً: «أدخلي من تحت المطر.»

فقالت غاضبة: «آه، إخرس.» كان شعرها قد ألصقه الدهان على جبينها بينما المطر يقطر على رقبتها.

نظر إليها لاوياً شفتيه، ثم وضع ذراعه حول خصرها، قبل ان تلحظ ما يفعل، ثم رفعها عن الأرض.

صاحت به: «انزلني.» ولكنه تجاهلها وهو يركض حاملاً إياها تحت إبطه وكأنها دمية.

حاولت هيزل التخلص منه، فأخذت ترفسه بساقيها، ولكن بييت ضحك من مقاومتها هذه. ولم يدعها إلا بعد أن وصل بها إلى الداخل.

أخذت تقول بانفعال وبشكل غير مترابط: «أنت... أنت...»

فقال يساعدها محاولاً ان يبدو جاداً: «رجل شهم؟» ولكن كان واضحاً أنه يكتم ضحكه.

«كفى ضحكاً.»

فقال: «آسف، هناك غرفة للمعاطف في نهاية هذا الممر.»

حملقت هيزل فيه: «هذا ليس مضحكاً.»

أجاب وهو يغالب الضحك: «كلا.»

«أحد عمالك الأغبياء ترك هذا الدلو في مكان خطر، ومن حسن حظي أن ضرراً لم يصبني.»

فقال فاتحاً عينيه الرائعتي الجمال على اتساعهما وقد بدا عليه الاخلاص والاهتمام قال: «من حسن حظك فعلاً، لم يصبك أي ضرر، أليس كذلك؟»

«كلا.» قالت ذلك كارهة، متمنية لو أن بإمكانها الإدعاء بانها أصيبت بما لا مجال لإصلاحه، وارتفع صوتها: «ولكن كان يمكن أن اصاب.»

«نعم، كان هذا ممكناً، وأنا سأعنف جداً ذلك العامل الذي ترك الدلو هناك، والآن دعيني أرشدك على الطريق إلى غرفة المعاطف.»

«يمكنني أن اعرف الطريق بنفسي.» وسارت في الممر بحذائيها المبتلين بالمطر، ولم يستطع بييت كتم ضحكته للصوت الذي كان يصدر عن كل خطوة تخطوها، فالتفتت هيزل إليه غاضبة وقد احمر وجهها: «لا تضحك مني!» فقال مادا يديه وكأنه يدافع عن نفسه: «آسف، آسف، لم أستطع مقاومة نفسي، ان منظرك مضحك للغاية. تلك الخطوط البيضاء على وجهك تبديك كالهنود الحمر، خصوصاً وشعرك منسدل بهذا الشكل، كما ان معطفك ملطخ بالوحل، وجوربيك...» وشملها بنظراته من أعلى إلى أسفل ضاحكاً: «لم أرك قط من قبل بهذا الشكل... فأنت دوماً بالغة الأناقة... سكرتيرة كاملة حتى لكأنك لست بشراً...»

بان على وجهها الغضب البالغ: «كأنني لست بشراً؟»

نظر بييت إلى عينيها الرماديتين الغاضبتين، ثم تغيرت ملامحه وقال بدهشة: «انك بشر وأنت بهذا الشكل، بهذا الشكل تبدين حلوة مضحكة وخصلة الشعر هذه ملتصقة على جبينك، تماماً كتلك الأغنية الانكليزية للأطفال التي تقول: «(كان هناك بنت صغيرة لها خصلة شعر على جبينها، وعندما تكون طيبة، تكون طيبة جداً جداً، وعندما تكون سيئة تصبح مخيفة).»

كان يتلو الأغنية منغمة وهو يبتسم، فأخذت تحملق فيه فاغرة فمها دون أن تعرف ما تقول، وكان هذا غريباً منها

لأنه لم يحدث قط، من قبل ان خانتها الكلمات، وهي الهادئة القديرة ذات الكفاءة النادرة، على الدوام.

كانت جينا تتفرج عليهما بإمعان، دوماً كانت هيزل عدائية نحو بييت، ولكنها الآن كانت تنظر إليه بشكل غير عادي، كانت تنظر إليه بتردد وخجل... كما كان وجهها تكسوه حمرة الخجل.

منذ أسابيع، وجينا تحاول ان تعرف نوع شعور هيزل نحو بييت، وما هو شعور بييت الحقيقي نحو هيزل، لأن هذه كانت عدائية نحوه منذ البداية، وقد أمضت الشهور الأخيرة تنعته متمتمة بكلمات فظة، بينما ابتدأ بييت بإظهاره عدم الاكتراث التام بها، ودوماً كان يشكوها لجينا متذمراً من تصرفاتها، وملقياً أسئلة عنها، متخذاً مواقف ضدها في نفس الوقت.

لم تكن هيزل من الغرور بحيث تتوقع من كل رجل يراها ان ينجذب اليها... وبييت كان في القاعدة، بالغ التهذيب واللطف تجاه أي شخص كان... هل من الممكن ان يكون لمشاعرهما المشتركة هذه سبب أعمق؟

كانت مشاعر جينا نحو نيكولاس كاسبيان مزيجاً من نفس الخشونة المتفجرة هذه، هل من الممكن ان تكون العلاقات بين الجنسين معقدة متضادة دوماً؟

كان بييت يحدق إلى هيزل وكأنه لم يرها قط من قبل، وقد بدا الذهول التام على وجهه، حسناً، لم يكن هذا عجيباً لأنه، كما قال لتوّه، لم ير هيزل قط بهذا الشكل من قبل... مبتلة ملطخة بالوحل وقد بدا عليها الضياع كلياً.

الفتاة ذات الكفاءة النادرة، والأناقة غير العادية، هيزل

سكرتيرة رئيس صحيفة سنتنال تلك، قد اختفت تاركة مكانها هذه المخلوقة الممرغة بالوحل والتي لا عزم لها ولا قوة، وخارجة عن اتزانها.

رأت جينا عيني بييت تلتمعان بالابتسام وهو ينظر إليها بظرف ورقة بالغتين، لقد سبق لجينا أن رأت هذه النظرة منه من قبل، ولكن ليس هيزل، انه لم يطلعها قط على شخصيته الخاصة.

قال لها برقة زادت من احمرار وجه هيزل: «تبدين غاية في الجمال.»

وحدثت جينا نفسها بأن الحياة حقاً أغرب مما نتصورها جميعاً.

الفصل الثامن

أصر بييت على مرافقة الفتاتين في الطواف في أنحاء المبنى، حيث أصبح لديه الآن اهتمام شخصي، منذ أصبح مسؤولاً عنه منذ فترة طويلة، ويبدو ان الزهو تملكه لكونه نجح في تسريع البناء دون مشاكل مع العمال، وبدا عليه السرور حين هنأته جينا على السرعة المذهلة التي اكتمل فيها بناء المجمع.

تمتمت هيزل بكلمات مهذبة، هي أيضاً، ولكن جينا لاحظت ان أعينهما لم تلتق مطلقاً، وقد أجاب بييت بشكل عفوي، وشعرت وكأنها تريد أن تضرب رأسيهما ببعضهما البعض، ولكنها كانت تعلم أن من الحكمة ان لا تتدخل.

في عصر ذلك اليوم، كانت جينا مشغولة بمساعدة السير جورج في ترتيب حفلة العشاء التي ستقيمها سنتنال لقادة العصر من سياسيين وفنانين ورياضيين وأعضاء الأسرة المالكة والكتّاب والمهندسين ورجال الأعمال الأثرياء، كانت القائمة الأولى طويلة للغاية، ومن الصعب اختصارها، ولكن كانت الموائد في فندق سافوي، حيث ستقام الحفلة قبل انتقال سنتنال من شارع فليت ستريت إلى الأبد، كانت محدودة، أما الحفلة التي ستقام

www.elromancia.com

للموظفين في فندق المدينة القديمة فستكون قبل تلك بيوم واحد.

وصل بييت ليأخذها إلى حفلة افتتاح الفيلم، في السابعة مساء، كان يرتدي ملابس السهرة فبدا رائعاً في البذلة السوداء وياقة القميص المنشاة، وكانت جينا ترتدي ثوباً طويلاً أخضر اللون، متزينة بمجوهرات مناسبة عبارة عن عقد من الزمرد الأخضر وكذلك القرطين والسوار، وكل ذلك كان السير جورج قد قدمه لها هدية حين تزوجت جايمس، كانت نادراً ما تتزين بهذا الطقم، فقد كان محفوظاً في خزنة الأسرة في البنك، وعند استعماله يجب أن يعاد إلى مكانه في الصباح الباكر.

قال لها بييت مأخوذاً: «هذا رائع، إنها مجوهرات حقيقية، أليس كذلك؟»

أومأت برأسها وهي تقلب شفتيها، ذلك انها لم تكن تشعر بالارتياح للتزين بها، أولاً لأنها لم تنشأ في بيئة ترى مثل هذه الأشياء الثمينة أموراً عادية، وثانياً لأنها كانت تخاف أن تفقدها، لم تشعر قط بأنها تملكها، وإنما كانت تستعملها لنفس اللحظة وكأنها استعارتها من صاحبتها الحقيقية.

قال لها: «سأكون متوتراً تماماً وأنا أسير معك مرتدية هذه المجوهرات.»

سألته: «هل أخلعها؟»

فهز رأسه: «كلا، ليس لدينا وقت لذلك، ينبغي أن لا نصل متأخرين، وإلا لن يسمحوا لنا بدخول السينما بعد وصول المجموعة الممثلين.»

كانت الساحة حيث دار السينما، مزدحمة بالجموع الذين كانوا يحدقون إلى كل قادم ليروا ان كان مشهوراً، وعندما لا يكون هذا كذلك، يديرون وجوههم ليروا شخصاً ذا أهمية أكبر.

شقّا طريقهما خلال الجموع تلك في الردهة، وأخيراً وصلا إلى مقعديهما.

كان الفيلم جيداً، كما كان تمثيل بيانكا فالنسا مذهلاً، وعندما أضيئت الأنوار، نظر بييت إلى جينا بعينين لامعتين: «كانت رائعة، أليس كذلك؟» قال ذلك بزهو وكأنه يمتلك النجمة السينمائية، أومأت توافقه على رأيه وهي تبتسم متسائلة عما إذا كانت له علاقة بالممثلة، وعما حدث بينهما في إيطاليا عدا عن تصميمه فيلتها.

قالت له: «انها رائعة، اشكرك، لاحضارك لي إلى هنا، فأنا مستمتعة تماماً.»

واستقامت في جلستها تحدق في ما حولها. «آه، انظر ذاك هو النجم جاك كيليام انتظر إلى ان أخبر هيزل بأنني رأيته، انها ستموت من الحسد.»

عبس بييت وهو ينظر إلى الممثل الفارع القامة والذي كان الجميع في مستوى كتفه. وقال: «ما هو الجميل فيه؟ انه قبيح الشكل، وعلى وشك الصلع.»

ضحكت جينا: «تظن هيزل أنه جذاب.»

فأجاب باختصار: «انها مجنونة.»

ألقت عليه نظرة جانبية وهي تكتم ابتسامتها.

ثم سألها بييت بلهجة عفوية: «وماذا عن صديقها؟ هل هو قبيح وأصلع كذلك؟»

أخذت جينا تضحك: «لا أدري، عليك ان تسألها.»

«وأنال صفعة على وجهي؟ إنني اكثر حكمة من أن أغيظ الآنسة فوربس.»

كل شخص كان امامهما يشق طريقه إلى الخارج، وهكذا انتظرا فترة، ولكن مع هذا انفصلت جينا عن بييت إذ جرفتها الجموع من جانبه مندفعة إلى المخرج الرئيسي. وعندما كانت تبحث عنه، رأت فجأة نيكولاس فتوقف قلبها عن الخفقان، تلاشى كل شيء حولها... الوجوه، الضجيج، تألق الأضواء، لا يمكن أن يكون هنا... أخذت تفكر بذلك بغباء، ليس هذا موعد عودته، لا بد أنها تتخيل صورته امامها لشوقها البالغ لرؤيته.

ثم عاد العالم اليها، تمكنت من الرؤية مرة أخرى، وكذلك السمع، وكان من امامها هو نيكولاس حقاً... طويلاً رائعاً بملابس السهرة... وكان يمر مبتعداً عنها وذراعه حول امرأة أخرى يحميها بها خلال الزحام.

أخذت جينا تحدّق إليهما مأخوذة، عرفت كريستا نوردستروم حتى من الخلف، شعر تلك المرأة الأشقر الرائع التنظيم، القوام الرشيق. طريقة رفعها لرأسها.

حتى بين هذه الجموع المؤلفة من الأثرياء، كانت الرؤوس تلتفت إليها يتهامسون باسمها، كانت إحدى ثلاث عارضات أزياء في القمة، مطلوبة على الدوام، ووجهها الجميل البالغ الرقة دوماً على غلاف المجلات.

استطاعت جينا أن تميز في العقد الذي يحيط بجيدها لآلىء حقيقية، كما كان ثوبها الذي ترتديه من تصميم أشهر مصممي الأزياء، كانت متألقة في كل شيء، وكانت

رفيقة مناسبة تماماً لرجل مثل نيكولاس كاسبيان في مناسبة كهذه.

إختنقت جينا بدموع لم تستطع ذرفها هنا بين الجموع، وشعرت بالارتياح عندما برز بييت فجأة من خلال الزحام وأمسك بذراعها وهو يقول: «ها أنت ذي، تمسكي بي جيداً وإلا تهت مرة أخرى.»

أمسكت بيده متشبثة بها وهما يشقان طريقهما إلى الخارج حيث الليل وهواؤه البارد. قال لها: «انتظريني هنا ريثما أذهب وأحضر سيارتي.» وكانا حضرا في سيارة ليموزين يقودها سائق خاص أنزلتهما خارج السينما، وكان عليها أن تعود الآن لأخذهما.

ابتعد بييت بينما وقفت جينا بعيداً عن حشود الناس الذين كانوا يتدفقون حول الساحة وهي تتمنى ان لا يغيب طويلاً.

كانت متجمدة من البرد، رغم الكاب المخملي الدافىء الذي ترتديه، كما كانت مكتئبة، كانت تريد الذهاب إلى البيت، كان هناك سؤالان لا ينفكان يجولان في ذهنها كالنحل الغاضب، منذ متى وصل نيكولاس إلى لندن؟ ثم ما مبلغ جدية علاقته بكريستا؟ كانا يبدوان على علاقة حميمة، فهما يبتسمان ويتكئان على بعضهما البعض اثناء سيرهما، هل هما حبيبان؟

عضت شفتها وبدا عليها الضيق والألم، الألم لحبها لنيكولاس، بينما تعلم أنه لا يحبها، تمنت لو تستطيع أن تنساه، أن تسلخه من ذاكرتها.

عاد بييت بادي الضيق: «لم أعثر على السيارة في أي

مكان مع الأسف، عليّ أن أذهب لأتصل هاتفياً بشركة السيارات. آسف يا جينا، سأحاول ان أكون سريعاً.»

لم يكن ثمة أمل في الحصول على تاكسي حالياً... فقد كان هناك الكثير الكثير من الناس في الساحة لنفس الغرض، كما أن جينا لم تعجبها فكرة الصعود في الباص بثياب السهرة.

كانت على وشك أن تقترح أن يتصل بييت ببيتها طالباً أن يحضر السائق السيارة ليأخذها، عندما قال صوت هادىء خلف بييت: «مساء الخير.»

شحب وجه جينا، ثم التهب احمراراً وهي تحدق في عيني نيكولاس العنيفتين، حتى ان بييت كان أكثر اجفالاً، ذلك لأنه لم يكن رأى نيكولاس في السينما، وبالتالي لم يكن مستعداً لمقابلته وجهاً لوجه.

استدار وهو يبتسم مشرق الوجه: «نيكولاس! متى عدت؟ كنت اظنك ستمكث أسبوعاً آخر؟»

فقال نيكولاس وهو ينظر إلى جينا: «لقد غيرت رأيي، فقد قررت ان هناك ما يستعجلني للقدوم لمعالجته.»

سأله بييت مقطباً جبينه: «أهو شيء كان عليّ أن أعرفه؟»

«كلا.»

«مشاكل؟»

لوى نيكولاس شفتيه: «لا شيء لا يمكنني معالجته.»

كان يتحدث إلى بييت، ولكن عينيه على جينا، وكانت هي تبادله النظر، متسائلة عما حدث لكريستا

نوردستروم؟ اتراها ذهبت إلى بيتها من دونه؟ أم هي تنتظره في مكان ما؟

كان يرتدي معطفاً أنيقاً من الكشمير فوق ملابس السهرة الآن، وحول رقبته وشاح سهرة حريري أبيض، وكان يبدو رائعاً، أرادت أن تحول عينيها عنه، فلم تستطع، كان يقف على بعد عدة أقدام منها... ولم تكن توده أو تثق به، ولكنها كانت واثقة من انها ستضيع لدى أول لمسة منه لها.

«كيف ستعودان إلى البيت؟»

سأل نيكولاس بييت ذلك، فأخذ هذا يشرح له ما حدث بالنسبة للسيارة المستأجرة التي لم تعد، ثم قال: «كنت على وشك الاتصال بهم هاتفياً.»

فقال نيكولاس: «لا بأس، سأوصلكما بسيارتي.»

ذعرت جينا وفتحت فمها للاحتجاج، وإذا بعينيها تلتقيان بذلك التألق الفتاك في عينيه فتعود لإطباق فمها مرة أخرى، كان آخر ما ترغب فيه هو أن يعيدها نيكولاس إلى البيت، ولكنها رأت ان ليس لديه المزاج الذي يجعله يسمح لها بالمعارضة، وعلى كل حال، بييت سيكون معها، فأين المشكلة؟

قال بييت يخاطبه بابتسامة سريعة: «أحقاً؟ هذا عظيم، أنا شاكر لك هذا، لأجل جينا اكثر من أي شيء آخر، يؤلمني جداً ان تنتظر في هذا البرد في ليلة كهذه.»

فقالت: «لا ذنب لك في هذا.»

قال بييت: «دوماً أنت متفهمة للغاية، تأكدي من أنني سأتصل غداً بشركة السيارات وسأوبخهم على ذلك.»

قال نيكولاس بخشونة: «سيارتي عند المنعطف ذاك.» ثم

استدار يسير امامهما، وهما يسرعان خلفه، وبييت يقول لها: «من حسن حظنا ان صادفنا نيكولاس.»

«لا استطيع ان اصدق حسن حظنا هذا.»

قالت له ذلك بسخرية ضاعت فيه إنما ليس بنيكولاس الذي رمقها بنظرة أخرى من نظراته الفتاكة.

كان لديه سائق خاص هذه الليلة جالساً خلف مقود سيارته الرولز رايس الكلاسيكية، قفز السائق خارجاً من السيارة ليفتح لهم الباب، بينما استدار نيكولاس يساعد جينا على الصعود إلى المقعد الخلفي ممسكاً بمرفقها، ثم صعد بعدها جالساً بقربها، تاركاً بييت ليجلس امامهما، ثم قال بهدوء: «بيتك قريب من هنا، أليس كذلك يا بييت؟ سننزلك أنت أولاً.» ثم أعطى العنوان للسائق دون أن ينتظر جواب بييت.

جمدت جينا في مكانها وقد توترت أعصابها، لا يمكنها أن تذهب إلى البيت وحدها في هذه السيارة مع نيكولاس، أخذت تفكر في عذر للهرب، لكن بييت لم يكن مسروراً هو الآخر.

فقال بسرعة: «آه، أظن عليّ ان اوصل جينا إلى بيتها بنفسي، فقد اخذتها إلى السينما، ليس بك حاجة إلى أن تعيدني إلى بيتي بعد ذلك، يا نيكولاس، يمكنك أن تنزلنا نحن الاثنين، امام منزل جينا، ثم آخذ أنا تاكسي بعد ذلك.»

فقال نيكولاس بحدة: «لا تكن سخيفاً، لقد كدنا نصل إلى بيتك، وهذا النوع من الشهامة فات عليه الزمن، النساء لم يعدن يتوقعن معاملتهن وكأنهن مصنوعات من الزجاج، يا بييت، بعد الآن.»

«هل هذا هو السبب في انك لم توصل كريستا نوردستروم إلى بيتها؟»

ألقت جينا عليه هذا السؤال، فألقى عليها نظرة سريعة ثم قال عابساً: «هل رأيتنا في السينما؟»

لم تجب على سؤاله، وإنما قالت ببرودة: «ماذا فعلت بها؟ هل وضعتها في تاكسي أم جعلتها تعود على قدميها؟»

«لا تكوني بلهاء! لقد جاءت مع شخص آخر، ثم عادت إلى بيتها معه.»

فقال بييت: «أنا لم أر كريستا، كيف حالها؟ ألم تصل بعد إلى نتيجة طموحها إلى تمثيل الأفلام؟»

أجاب نيكولاس بعفوية: «يبدو أن طموحها سيتحقق.»

تباطأت السيارة ثم وقفت أمام منزل بييت. فقال بييت لجينا: «آسف لمسألة السيارة الليموزين، يا جينا.»

فابتدأت تقول: «لم يكن هذا ذنبك، يا بييت...» ولكن نيكولاس أسرع يفتح باب السيارة بصوت مفاجيء جعلهما يجفلان، ثم قال له باقتضاب: «أخرج يا بييت.»

قال بييت عابساً: «انك عديم الصبر، يا نيكولاس، أنا ذاهب، تصبحين على خير يا جينا.» خرج من السيارة، فاغلق نيكولاس بابها قبل ان يتمكن بييت من قول كلمة أخرى، سارت الرولز رايس بينما نظرت جينا إلى الخلف تلوّح بيدها لبييت الذي كان واقفاً على الرصيف يحدّق في أثرهما، ثم انعطفت السيارة حول زاوية، فغاب عن النظر.

إتكأ نيكولاس إلى الخلف مادّاً ساقيه أمامه، ويداه في جيبي معطفه.

لم تنظر إليه مباشرة ولكنها رأت انعكاس صورته في

زجاج نافذة السيارة فشعرت بألم في قلبها، حتى ولو لم تره قط بعد هذه الليلة، فهي لن تنسى أبداً الشكل الذي يبدو عليه، الشعر الأسود، ملامح وجهه الجانبية الحادة، إنحناءة فمه القوية، فكه البالغ العزم، كل شيء في نيكولاس كان مطبوعاً في قلبها وعقلها.

بدا أن الصمت سيستمر إلى ما لا نهاية، ومع كل لحظة تمضي كان توترها يزداد، ألقى عليها نظرة جانبية مقطب الحاجبين: «هل بييت هو الحبيب السري الذي لم تخبريني باسمه؟ اعرف الآن لماذا بقيتما ساكتين، أنتما الاثنين، كنت اعلم ان بييت معجب بك، ولكن لم يخطر بذهني قط أنك قد تحبينه.»

فقالت بحدة: «لماذا لا؟ انه ظريف ووسيم و...»

فقال بنفس الحدة: «لا بأس، لا بأس، فليكن، لقد ذهلت عندما أخبرني السير جورج بأنك تواعدين بييت، وعندما كنت مسافراً، لم استطع اخراج هذا من ذهني، لم استطع النوم أو التفكير في العمل بعد ذلك، لم استطع تركيز ذهني على شيء أثناء الرحلة.»

نظرت إليه باحتقار صامت... لا شك أنه كان خائفاً من أن تتزوج بييت، مهددة بذلك سيطرته على سنتنال.

سكتت طويلاً ثم قالت ببرودة: «حتى ولا في كريستا نوردستروم؟»

فألقى عليها نظرة سريعة حادة، ثم تمتم يقول: «هل تغارين، يا جينا؟» وبدت في عينيه نظرة حميمة دافئة وهو يتابع قائلاً: لا حاجة بك لذلك، لقد انتهت علاقتنا منذ وقت طويل، قبل ان أتعرف اليك...»

«لماذا كنت معها، إذن هذه الليلة؟»

«نحن مازلنا صديقين، لا غير، الآن...»

«ولكن هل كنتما حبيبين؟» كانت تريد أن تعلم، أن تخرج الشوكة المؤلمة هذه من صدرها، من الأسهل أن تكون واثقة من الأمر، ان تسمعه من بين شفتيه، أما الشك فهو أسوأ أنواع الألم.

قال بعدم صبر: «في يوم من الأيام، ولكنني اخبرتك ان هذا انتهى منذ زمن طويل.»

سألته بمرارة: «وكم استمرت العلاقة؟ كم تستمر أي من علاقاتك؟ انك سريع السأم.»

صدرت عنه آهة قصيرة: «في الماضي، نعم، لا أنكر هذا. لم تكن حياتي مستقرة، فأنا دائم الانتقال من مكان لآخر، ومن بلد إلى بلد، وأنا رجل مشغول، لا أملك سوى وقت قصير لحياتي الخاصة، وهكذا كنت اختطف ساعات قليلة كلما استطعت... هذا هو السبب في انني لم أتزوج قط.»

استدار ينظر من نافذة السيارة إلى المتاجر المتألقة بالأنوار التي كانوا يمرون بها، عضت جينا شفتها، وهي من التعاسة بحيث لم تجد ما تقوله. كان يخبرها بما سبق وعرفته عنه، وهو أن أية علاقة ستحدث بينهما محكوم عليها بالهلاك قبل أن تبدأ، الحب ليس له مكان في حياة نيكولاس الحافلة بالعمل.

وفجأة إنفجر يقول: «ولكن الأمر يختلف الآن، لم أدرك ذلك إلا بعد رحيلي إلى لكسمبورغ، كان لديّ الكثير من العمل، واجتماع بالغ الأهمية عليّ قيادته، ومسائل معقدة عليّ ان أناقشها، قرارات عليّ اتخاذها... ولأول مرة في

حياتي، لم استطع تركيز ذهني على ما أقوم به، بقيت أفكر فيك متسائلاً أين عسى أن تكوني ومع من!»

كان يتحدث بصوت عميق سريع، وقد حنى رأسه بحيث كان عليها أن ترهف أذنيها لتسمعه، ثم إذا به يلقي برأسه إلى الخلف وهو ينظر إليها وعيناه تتألقان.

تملكها الخوف تقريباً من تلك النظرة التي كانت تنطق بالرغبة والإصرار.

«إياك!» همست بذلك وهي تراه يمد اليها يده ضارعاً.

«إذا لم أحصل عليك بسرعة، سأجن.»

شحب وجهها وأخذت ترتجف: «لقد قلت لك إن هذا مستحيل.»

أشاح عنها بوجهه مرة أخرى، وقد تقبضت يده، وساد الصمت لحظة، ثم عاد ينظر إليها قائلاً بهدوء: «هل تتزوجينني، يا جينا؟»

لم تستطع جينا أن تتنفس، أخذت تحدق إليه غير مصدقة، وقد اتسعت عيناها الخضراوان في وجهها الشاحب ثم قالت: «انك مجنون.»

كانت تحاول أن تجد سبباً لعرضه الزواج عليها ذاك ومهما يكن، ليس هو الحب، إنه مازال لا يتحدث عن الحب، وهي لا تريد منه غير ذلك.

قال وهو يضحك بعنف، ما أثار دهشتها: «نعم، الحق معك... حالياً أنا مجنون، لم يهزمني أحد غيرك من قبل، أنا أتألم، ولا يمكنني احتمال ذلك، عليّ ان افعل شيئاً بهذا الشأن.»

قالت بحدة: «انك تجعلني أبدو وكأنني مرض.»

فقال: «نعم، انك مرض، وأنا أشعر بالحمى في الواقع.» وأمسك بيديها يرفعها إلى جبينه: «تحسسي.»

جذبت يدها من يده، لم تشأ أن يلمسها، قالت له: «لا تكن سخيفاً، هل كنت تهذي؟»

«اتعنين أن عليّ ان اكون مريضاً لكي أعرض عليك الزواج؟ كلا، إنني متزن، وأنا عملي تماماً يا جينا، اسمعي، ان لديّ مؤسسة دولية عليّ ان أديرها، ولا يناسبني ان يلهيني شيء عن عملي، وذلك لأمر واحد، وهو أن منهاجي العملي للسنة القادمة مرسوم الآن على الورق، ويمكنني أن اخبرك بما عليّ أن أقوم به خلال شهرين... أربعة... ستة... إنني اعلم نوعاً ما، أين سأكون كل يوم، ما عدا الاصطدامات أو تغيير الخطط، ليس لديّ وقت أضيعه، انك مشكلة وعليّ أن أعالج المشكلات بسرعة لأكون حراً فأتابع حياتي مرة أخرى.»

«إذا كنت أنا مشكلة فحلها سهل، إبتعد عني.» قالت ذلك بغضب وقد احمر وجهها.

تمتم يقول وكأنه سبق وفكر في ذلك الحل: «هذا لن ينفع، انه لا يجعلني أكف عن التفكير بك.» كانت تتنفس بصعوبة، أتراه يفكر فيها كما تفكر هي فيه؟ ما الذي يشعر به حقاً؟ وتمنت لو تعرفه جيداً فتتأكد من ذلك.

«ولا أريدك أن تخرجي مع رجال آخرين.»

كانت تعلم أنه لا يمكن أن يكون غيوراً، إنما ببساطة مصمم على اضافتها، من خلال سيطرتها الكاملة على سنتنال، اضافتها إلى ممتلكاته، وإذا هي تزوجت رجلاً آخر، فسيكون ذلك، إرباكاً أو ربما تهديداً له، كان نيكولاس

يراقبها بإمعان، محاولاً قراءة أفكارها من وراء وجهها المنزعج، حولت عينيها بعيداً عنه فاستقرتا على قبعة السائق الداكنة اللون، كان بينه وبين المقعد الخلفي زجاج مانع للصوت بحيث لا يسمع ما يقوله الركاب.

قال نيكولاس: «حسناً؟ جينا، قولي نعم، وكفّي عن تعذيبي.»

همست تقول: «لا أستطيع.»

التفت إليها وقد اضطرم وجهه: «اعطني سبباً معقولاً لهذا الرفض.»

«نحن لا نكاد نعرف بعضنا بعضاً.»

«لكننا نعرف بعضنا بعضاً منذ شهور.»

«بل منذ أسابيع.»

«ميلي إليك كان من أول نظرة، لقد سبق واخبرتك... عندما رأيتك لأول مرة، في باربري وارف ذلك اليوم، شعرت وكأن الكهرباء لسعتني. مضت فترة طويلة لم أدرك فيها مقدار تأثيرك المدمّر ذاك عليّ، ولكنني اعرف الآن ما الذي حدث لي، يا جينا، وكذلك انت، أليس كذلك؟»

خافت من الاعتراف بأي شيء، انها بحاجة إلى وقت تقرر فيه ما عليها عمله، وهكذا هزت رأسها نفياً وقد بدت الدموع في عينيها. فقال مزمجراً: «لا تكذبي.»

كانا من الاستغراق في الحديث بحيث لم ينتبها إلى تباطؤ السيارة ثم وقوفها، أخذا يحدقان في بعضهما البعض بصمت، والحب يخفق بينهما.

قال وقد التهبت عيناه: «قولي نعم.»

كادت أن تقولها وقد تملكها التشوش لكن ذهنها مالبث

أن صفا قليلاً، فتنهدت وقالت مقطبة الجبين: «لا استطيع... هكذا... عليّ أن أفكر!»

«ليس ثمة ما يستلزم التفكير.» قال ذلك بصوت منخفض وقد بدا عليه الغضب.

ألقت جينا نظرة على السائق، خائفة من أن يكون رآهما من مرآة السيارة، ولكنه كان يحدق إلى المنزل من النافذة الجانبية وكأنه معجب بطرازه.

كان ثمة ضوء بارز من تحت ستار الشرفة أمام الباب، وفيما عدا ذلك كان المنزل غارقاً في الظلام، ما عدا نافذة غرفة السير جورج التي كانت تبدي ضوءاً خافتاً وردي اللون، لا بد أنه يقرأ في سريره.

همس يقول: «جينا.»

فالتفتت إليه وهي تهز رأسها: «إنني أحاول التفكير، لا تحاول استعجالي.»

«عليّ أن استعجلك، أريد ان انتهي من هذا الأمر، أريد ان أتزوج على الفور، فقد انتظرت ما فيه الكفاية، انك تريدينني، بقدر ما أريدك، أليس كذلك؟ اتظنين أنني لا اعلم هذا؟ ما ذاك الذي تريدين التفكير فيه؟»

فقالت: «الأشياء التي تتجنبها الآن، انك دوماً تقول لي أن لا افكر، فأنا أريد أن اسأل نفسي لماذا لا تريدين ان افعل ذلك؟ لماذا كل هذه العجلة؟»

نظر اليها بعينين لامعتين فخفق قلبها، ثم قال بصوت خشن عميق: «ألا تعرفين؟ اذا لم أتزوجك لن يمكنني الوصول إليك، الزواج هو الخيار الوحيد الذي تسمحين لي به.»

تملكها الذعر وجف فمها.

ابتلعت ريقها وحاولت أن تفكر: «أريد أن أتأكد من انك لا تريد الزواج مني لأجل امتلاك أسهم آل تيريل.»

قالت ذلك فرأت عينيه تطرفان، كان هذا برهاناً ضئيلاً سرعان ما حول عينيه بعده، وجفناه يغطيان عينيه العنيفتين وكأنهما تخفيان هذا البرهان الضئيل، ولكن بعد فوات الأوان، لقد رأت ذلك وشعرت بالصقيع يغلف روحها.

قد يستمر في القول لها انه يريدها، وفي ذلك شيء من الحقيقة... شيء من النار في كل هذا الدخان الذي يريد ان يعميها به، ذلك أن نيكولاس لم تكن عواطفه الملتهبة كلها مجرد إدعاء إلا اذا كان أحسن ممثل في العالم، ولكن لديه أهدافاً أخرى كذلك، وراء رغبته المحمومة هذه.

إنه يريد سيطرة كاملة على سنتنال، فهو لا يريد ان يشاركه فيها أحد سواء السير جورج أم هي، كل ما تعرفه عن نيكولاس يحدثها بأنه سيفوز.

إنه يريدها ولكنه يريد أيضاً ميراثها، ويتملكها الظن بأنه يريد سنتنال اكثر مما يريدها هي.

سألها ساخراً لاوياً شفتيه: «اتعلمين عدد الصحف التي امتلكها؟ لقد أمضيت في العمل لأجل هذه الصحيفة في لندن، اكثر مما كان عليّ ان افعل بكثير، ان اعمالي جمة، حالياً، يجب ان اكون في لكسمبورغ مرة أخرى في الأسبوع القادم، ثم في أثينا للاجتماع مع اليكس غريغاروس شريكي اليوناني وبعد ذلك باريس حيث سنفتتح مجلة جديدة، الربيع القادم.»

فقالت له غاضبة: «نعم، اعرف كم انت مشغول ومهم، ولكنني اعلم كذلك انك مازلت تريد السيطرة الكاملة على سنتنال، ولأجل الحصول على ذلك، تريد الزواج مني.»

بدا عليه الآن الضيق البالغ: «جينا، انني أدير مؤسسة دولية بالغة الضخامة، وسنتنال لا تعادل في الأهمية بعض صحفي، لقد تأخرت في الدخول إلى الساحة الانكليزية لأنني صادفت متاعب كثيرة في سبيل الحصول على الإقامة في البلاد الانكليزية لكي أرفع رايتي على الصحف المحلية التي سأمتلكها.»

اتسعت عيناها... ماذا يعني بالصحف المحلية؟ وهل سيشتري المزيد من الصحف الانكليزية، لم تدرك إلا الآن مبلغ طموحه للتملك في هذه البلاد.

ابتسم لها بسخرية: «لا أراك تظنين حقاً انني متلهف إلى امتلاك بقية أسهم السير جورج، بينما أملك سيطرة كبيرة على سنتنال، ان اسهمي بعدد أسهم السير جورج وهو لم يعد يحاول الآن معارضتي، وهكذا يصوّت مجلس الإدارة على ما أريده انا، فما الذي يجعلني اتزوجك فقط لأستولي على اسهم تيريل؟»

فقالت بعنف: «لأنك لا يمكن أن ترتاح إلا بعد ان تحصل على سيطرة كاملة.»

أخذ يحدق إليها عابساً لحظة: «انك فقط لا تثقين بي.» قال ذلك ببطء ونظرات باردة، لم تجب، لم تكن بحاجة إلى ذلك، فالإعتراف بذلك كان مرسوماً على وجهها، وكانت على وشك البكاء لأنها كانت تريد فعلاً ان تصدقه أن تثق به، لكنها لم تستطع.

استقام نيكولاس في جلسته وقد أظلم وجهه وشردت ملامحه، وبدا الغضب في كل حركة منه.

«هل ترفضينني؟»

لم يصرخ، ولكنها اجفلت لقوة سيطرته على صوته.

«أنا...»

قال وعيناه كخنجرين: «نعم أم لا؟»

ابتعلت ريقها، ثم قالت: «انا آسفة.»

مضت لحظة ظنت فيها أنه سيضربها، ولكنه بدلاً من ذلك، استدار وفتح الباب بعنف، خرج ثم استدار ليساعدها على النزول، خافت ان تدعه يلمسها، فتجاهلت يده الممدودة ثم نزلت دون عون، وهي من الإرتجاف بحيث لم تستطع ان تسير بشكل مستقيم.

أخذت تقول له: «تصبح على خير، وشكراً لتوصيلي إلى البيت...» ولكن نيكولاس كان الآن قد اصبح داخل السيارة، صافقاً الباب خلفه، فأسرعت هي تصعد الدرجات نحو الباب الذي فتحته بيد مرتجفه، وعندما دخلت سمعت صوت انطلاق السيارة الرولز رايس.

لم تره قط من قبل بمثل هذا الغضب، كثيراً ما كان يبدو عديم الصبر، غاضباً، مصراً، ولكن الأمر هذه المرة كان مختلفاً، انها ترتجف كلما تذكرت منظر وجهه، لقد طعنته في الصميم.

انه لم يطلب منها الزواج برقة ولطف، لم يكن يريد الزواج على الاطلاق، فقد أوضح ذلك بقسوة. ولكنه طلب يدها! فعل ذلك دون ان يخطر في باله انها سترفضه، انها لن تنسى أبداً تلك النظرة في عينيه وهو يراها ترفضه. طالما تساءلت

عما يجعل نيكولاس بهذا الإصرار، ولكنها تعلم ذلك الآن، انه يريد ان ينتصر... ان يهزم من يعارضه... ان يزيد ممتلكاته، وقد رفضته هذه الليلة، لقد فشل نيكولاس... خسر... وهذا هو سبب غضبه البالغ، وذهوله، وعدم تصديقه.

صعدت إلى غرفتها ثم اقفلت عليها الباب قبل ان تنهمر دموعها تغسل وجنتيها، أخذ جسمها يهتز بشهقاتها التي كانت تخنقها في وسادتها كيلا يسمعها الرجل العجوز، ولم تستطع تمالك نفسها والشروع في تغيير ملابسها إلا بعد مرور بعض الوقت.

مر وقت طويل قبل أن تستطيع النوم، وعندما قرع جرس المنبه، استيقظت من نومها متوترة الأعصاب، جلست في فراشها شاحبة الوجه تحيط بعينيها هالتان سوداوان، وقد امتلأ ذهنها بذكريات الليلة السابقة المرة.

وعلى مائدة الإفطار نظر اليها الرجل العجوز عابساً: «متى عدت إلى البيت الليلة الماضية؟»

«حوالي الساعة الثانية عشرة، ولكنني لم استطع النوم.»

لم تستطع أن تواجه طعام الافطار، إنما استطاعت أكل قطعة من الخبز المحمص ولا شيء غير هذا.

قال السير جورج بعنف: «لماذا؟»

نظرت إليه بغباء: «ماذا تقصد؟»

«لماذا لم تستطيعي النوم؟ هل ثمة ما يشغل ذهنك؟»

لم تستطع منع وجهها من الإحمرار، فأشاحت بوجهها، أخذ الرجل العجوز يضحك بصوت خافت: «لا تخبريني بأنك جدية بالنسبة إلى ذلك الهولندي.»

شعرت بالارتياح وهي تراه يظن أن بييت هو ما يجلب إليها الأرق، وهكذا ضحكت وهي تجيب مراوغة: «إنه ظريف.»

«هممممم... أوافقك على ذلك، ولكن لا تظني أنني سأتدخل في أمورك الخاصة.»

فقالت هازلة: «آه، كلا.»

ضحك الرجل مرغماً، ثم قال بارتباكه المعتاد كلما تحدث عن مشاعره الخاصة: «يهمني ما يحدث لك، يا عزيزتي، أريدك فقط ان تكوني سعيدة، وقد مضى وقت طويل على وفاة جايمس، وأنا لا اتوقع منك أن تحزني بقية عمرك.»

فقالت بهدوء: «لقد أحببت جايمس كثيراً وسيظل الحزن في قلبي وسأفتقده طوال حياتي، ولكنني مازالت على قيد الحياة، كما إنني بشر...»

فقال بصوت خافت: «اعلم ذلك، انك ستقعين في الغرام مرة أخرى، يا جينا، فأنت شابة وامامك عمر طويل... ولكن هذا الرجل الهولندي... والذي قد يكون ظريفاً... أنا لست واثقاً من أنه الرجل المناسب لك.»

بدت على شفتيها ابتسامة ملتوية، كانت تعلم أنه على صواب، وتساءلت عما سيقوله لو انه علم ان نيكولاس طلب يدها الليلة الماضية. سيسر السير جورج لاحتمال زواجها من رئيس مؤسسة كاسبيان الدولية، فهذا في اعتباره يعني ان من خلالها سيستعيد آل تيريل سنتنال! وارتجفت إذ تصورت وجهه إذا هو علم انها رفضت نيكولاس.

ذلك النهار، تناولت جينا وهيزل الغداء في كانتين

المكاتب، توفيراً للوقت، قالت هيزل وهي تتأمل طعامها: «منظر هذا الطعام لا يبعث على الشهية.»

كانت جينا اختارت أرزاً مقلياً وكانت متلذذة بتناوله، فقالت لهيزل: «كان عليك ان تطلبي هذا الطبق.»

فأومأت الفتاة برأسها: «انني اتبع نظاماً للنحافة، ولهذا أخترت السلطة، فانظري إليها، أنا واثقة من انها بقية من طعام أمس، أو أمس الأول.»

«أعيديه وقدمي شكوى.»

قالت هيزل عابسة: «لا يهمني هذا، فأنا غير جائعة على كل حال.» وأبعدت قطع الخس الذابلة، جانباً فوجدت قطعة بندورة أكلتها، ثم قالت بعفوية: «هل استمتعت بوقتك الليلة الماضية؟»

ارتبكت جينا في البداية ونظرت اليها: «الليلة الماضية؟»

«أعني حفلة افتتاحية الفيلم.»

«آه، نعم، كان الفيلم بالغ الجودة، يجب أن تذهبي لرؤيته.»

«وهل استمتع بييت به؟»

قالت جينا واهتمامها منصب على طعامها: «اظن ذلك.»

سألتها هيزل فجأة: «انك ترينه كثيراً، هل الأمر جدي بينكما؟»

لم ترفع جينا بصرها، ولكن صوت هيزل نبهها، فأجابت بحذر: «انه رجل طيب جداً، وهو يعجبني، ونحن منسجمان تماماً، ولكننا نحن الاثنين غير جادين، أعني لا تربطنا أية عاطفة.»

ضحكت هيزل: «لا أؤمن بالعلاقة الافلاطونية.»

«ليس ثمة علاقة بيننا، وإنما مجرد صداقة، ولن تكون شيئاً اكثر من هذا مطلقاً، اننا غير مهتمين ببعضنا البعض من تلك الناحية.»

كانت جينا تريد من هيزل ان تصدقها، ولكن كل ما قالته هيزل هو: «لكنكما تخرجان مع بعضكما البعض على الدوام.»

«ذلك مجرد رغبة في المرافقة لا غير، انه افضل من ذهاب أحدنا وحده.»

وترددت جينا لحظة ثم قالت بخجل: «هيزل، إنني أهتم بشخص آخر، فأنا غير مهتمة على الاطلاق ببييت من تلك الناحية.»

زاد تقطيب هيزل لجبينها: «هل هو يعلم ذلك؟»

فقالت جينا: «ان بييت غير مهتم بي، هو أيضاً، اننا لم نتحدث في هذا الشأن، ولكنني واثقة من انه يهتم بفتاة أخرى، هو أيضاً.»

سألتها هيزل بصوت خافت: «من هي؟»

«إساليه.»

أجابت هيزل وقد احمر وجهها: «كلا، بكل تاكيد.»

الفصل التاسع

كان فندق المدينة القديمة بُني في زمن كانت الزخرفة فيه شيءاساسي في بنائه. كانت قاعة الاحتفالات مزخرفة بماء الذهب، وأعمدتها من الرخام، والمرايا كبيرة مذهبة الأطر، وكذلك السقف.

جلس موظفو سنتنال حول موائد صغيرة حول الباحة، يستمعون إلى الموسيقى، ويحدقون في الزخارف.

طالت فترة العشاء بعد أن كثر الخطباء، واحداً بعد الآخر من المائدة الرئيسية حيث كان السير جورج يجلس مع رئيس التحرير هاري ديردن والذي كان سيتقاعد في الأسبوع القادم، وجو ماكينلي المدير المنفذ الذي كان هو أيضاً مستقيلاً مع عدد من رؤساء الأقسام. كان الطعام ممتازاً، مؤلفاً من الحساء تتبعه شرائح السمك ثم الروستو ثم الحلوى والقهوة. وعندما أخذ المحتفلون يغادرون غرفة الطعام إلى قاعة الاحتفالات، انتظر السير جورج فترة، ثم نهض قاصداً القاعة. نظرت جينا حولها في انحاء القاعة. صعب عليها إحصاء عدد الموظفين الذين سيصرفون من العمل باعتبارهم فائضين عن الحاجة. لا عجب في مظهر التعب الذي يبدو على السير جورج. فقد كان هذا الأسبوع مرهقاً كئيباً بالنسبة إليه. لقد ابتدأ في العمل في هذه الدار من شارع الصحافة

فليت ستريت منذ تخرج من الجامعة، منذ أكثر من خمسين عاماً وقد بنتها أسرته تيريل بنفسها. وهكذا كان شعوره بلوعة الفراق لها أكثر مما يستطيع تحمله. وخاصة في مثل هذه الظروف التي ذهبت بها مقاليد الصحيفة إلى أيدٍ أخرى.

كانت جينا تعرف كثيرين من الموظفين الذين رأتهم. فالعمل مع مالك الصحيفة يعني اتصالاتها الدائمة بأكثر الأقسام، ما أعطاها إحساساً قوياً بأنها أسرتها أكثر منها دوائر أعمال.

كانت تدرك أن العمل في سنتنال، بعد السير جورج، لن يعود أبداً كما كان. لا شك في أن مؤسسة كاسبيان ذات كفاءة، وثمة احتمالات كثيرة في تحسن العمل والأجر، ولكن على المستوى الإنساني، سيكون ثمة شيء مفقوداً، ألا وهو الإحساس الحقيقي بالهوية المشتركة بين الموظفين.

عادت تنظر إلى السير جورج، وإذا بنظرها يقع على هيزل وبييت معاً قريباً منه. ابتسمت جينا لهما وهي تفكر في أنها ستأخذ لهما رسماً تخطيطياً معاً.

جلس حول أقرب الموائد إليها كبار الموظفين. رؤساء التحرير، كتاب المقالات، وكانت اصواتهم تعلو بالنقاش.

وخلفهم، جلس دانيال بروني وبقية الموظفين الذي يعملون في مكتب المراسلين الأجانب، وروز بينهم، رشيقة جميلة في ثوب يشبه أثواب الراقصات الأسبانيات، ضيق الخصر واسع التنورة مع طبقات من الكشاكش القرمزية اللون.

عندما التقت عيناها بعيني جينا، نادتها قائلة: «تعالي اجلسي معنا.»

فأجابت هذه: «فيما بعد.» كان عليها أن تمكث مع السير جورج حتى يأوي إلى سريره وقد يكون ذلك قريباً جداً، فالنعاس يراوده، غالباً، الساعة العاشرة والنصف.

«لا تنسي.» قالت روز ذلك وقد التهب وجهها غضباً كعادتها كلما كانت مع دانيال بروني. لقد كان شوكة في خاصرتها، وكانت جينا تشعر بالعطف عليها. ذلك أن رجالاً أمثال دانيال ونيكولاس من الصعب العيش معهم وكذلك نسيانهم. لم تكن روز مثل دانيال الأعلى بين النساء، كما يبدو فهو يفضل نموذج الأنوثة الكامل. رقة ومرونة ربما هذه طبيعة الرجال الفرنسيين. وجينا لا تعرف فرنسا جيداً لكي تحكم على هذا الأمر. ثمة شيء واحد تعرفه وهو أن روز صحافية جيدة وامرأة قوية. ولم يتمكن دانيال بروني بسهولة من هزمها وجعلها تترك قسم المراسلة الأجنبية. فقد كانت روز تريد أن تكون مثل أبيها، وهي تقاتل في سبيل الانتصار.

«أيمكنني الجلوس بقربك؟» كان هذا جو ماكينلي، فقالت: «أهلاً وسهلاً. تفضل.»

كان ثوب السهرة الحريري الكهرماني اللون الذي ترتديه يتألق بجانب بشرتها الناصعة البياض، ويعمق لون شعرها البني المحمر المكوم فوق رأسها مثبتاً بشريطة من المخمل الأسود المزين باللؤلؤ. كانت اشترت هذا الثوب خصيصاً لهذه الحفلة، مترددة نوعاً ما لأن ياقته

مكشوفة قليلاً وهي المحتشمة جداً، لكنها لم تستطع مقاومة جماله في النهاية، فاشترته عازمة على ستر رقبتها بعقد عريض من الكهرمان والذهب، وهو أحد مجوهرات أسرة تيريل. ولم تكن تزينت به من قبل لأنه لا يُستعمل سوى في السهرات، وفي مثل هذه المناسبات.

سألت جليسها، قائلة: «ما الذي ستفعله الآن، يا جو؟»

ابتسم لها، قائلاً: «زوجتي تريد أن تبيع بيتنا اللندني وتعود إلى اسكوتلندا لتكون بجانب أسرتها. وقد نفعل ذلك. أما أنا فسأذهب كثيراً للنزهات وصيد السمك. فهذا ما اعتدنا عمله في الإجازات، وهي الطريقة المفضلة لدينا لتمضية الوقت. ولكن ربما لن تعجبني الإجازة الدائمة.»

«إن السير جورج سيفتقدك.» قالت ذلك بعطف، فقد كانت تحب جو ماكينلي. فتألق وجهه، قائلاً: «وأنا سأفتقده، وكذلك كل من اشتغلت معه، فهذا التقاعد حدث بشكل مفاجيء، إذ لم يكن ذهني مهيئاً له.» خفض صوته وهمس قائلاً: «كل هذا بسبب ذلك الرجل كاسبيان.»

فقالت ضاحكة: «نعم، هذا صحيح مع الأسف.»

«على كل حال، لا فائدة من البكاء على الحليب المندلق. إنه كالضرائب وكالموت لا يمكن منعهما، والأفضل أن نتقبلهما.»

إرتجفت، شاعرة بصدى ما يقوله. ونظر هو إليها بدهشة.

فقالت متظاهرة بالمرح: «إنك تجعلني أشعر بالتشاؤم.»

نظرت إلى هيزل وبييت جالسين على مسافة غير بعيدة منها، ولكنهما لم يرياها.

كان بييت يقول لهيزل مازحاً: «كل ما فيك منظم للغاية. كان علي أن اتوقع ذلك.»

وإذا بملامحها تتوتر وقد غامت عيناها. ثم أشاحت بوجهها لا تريده أن يرى مبلغ جرحه لها، ولكن بييت سارع يقول: «كلا، لا أريدك أن تشعري بالبرودة نحوي مرة أخرى. لقد اسأت التعبير. كل ما كنت أريد قوله هو أنني مسرور جداً بالجلوس معك.»

قالت له بصوت أبح، وقد خفضت بصرها: «إنك دوماً تضحك مني.»

سمعت ضحكاً من البعض فظنته منها. منذ تعرفت إلى بييت فان ليدن وثقتها بنفسها تخف، ما جعلها تشعر بالخجل والارتباك.

وقفت، وقد تملكها الارتباك، ثم سارت لا تدري إلى أين. لم تدرك أن بييت لحق بها إلى أن وصلت إلى غرفة استراحة السيدات فوقفت فكاد بييت يصطدم بها.

نظرت هيزل إليه مجفلة، ثم حملقت فيه: «إبتعد عني!»

نظر إليها بدوره: «إنك أكثر النساء التي عرفتهن تناقضاً.»

فقالت بلهجة عنيفة: «حسناً، على الأقل لن يمكنك تجاهلي الآن.»

«أتجاهلك؟ وهل تراني فعلت هذا من قبل؟»

«نعم، في بداية تعارفنا، فقد تجاوزتني نظراتك إلى ما ورائي. كنت امرأة غير مرئية، بالنسبة إليك.»

نظر إليها بارتباك: «ما هذا الذي تقولينه؟»

«أرأيت؟ حتى إنك لا تتذكر ذلك. كان ذلك في محلات

سلفريدج أثناء وقت الغداء... كنت مع جينا فلم تستطع أن تحول عينيك عنها لكي تنظر إلي.»

قال عابساً: «آه.» ثم عاد فابتسم لها: «ذلك لأنني كنت قابلتها من قبل مع السير جورج في باربري وارف. كانت جميلة للغاية بشعرها الأحمر الرائع وعينيها الحزينتين...»

فقالت غاضبة: «لا أريد أن اسمع ذلك. إذهب إليها ودعني وشأني.»

فقال بصبر هادىء: «جينا فتاة طيبة جداً وأنا معجب بها جداً. ولكننا عندما عرفنا بعضنا البعض، أدركنا، نحن الاثنين، ان علاقتنا لم تقدح شرراً. هل فهمت ما أعني؟»

تغير وجه هيزل، وبدت عيناها متسعتين غير واثقتين. فهذا بالضبط ما قالته جينا، ولكنها لم تصدقه حينذاك.

قال لها فجأة: «أنظري في عيني.»

«ماذا؟» ولكنها نظرت في عينيه.

فقال: «الشرارة.»

ما أن قال ذلك، حتى شعر بها، هما الاثنين، تنقدح بينهما. كهرباء تتفاعل نحو بعضهما البعض. تشابكت نظراتهما فبدأت هيزل ترتجف. وإذا بأبواب القاعة تنفتح ويدخل مجموعة من المدعوين وهم يتكلمون بصوت عال.

وقفا متباعدين، يتظاهران بالتفرج على بعض اللوحات المعلقة على الجدار.

كانت إحدى القادمات رأتهما متقاربين قبل أن يبتعدا، فأخذت تضحك بصوت خافت، وهي تهمس لأصدقائها. إحمر وجه هيزل ولم تجرؤ على النظر إلى بييت.

وفي القاعة، ابتسمت جينا للسير جورج بحنان، وسألته: «هل أنت مستمتع بالحفلة؟»

فقال بدهشة ظاهرة: «نعم. إن هنا أناساً لم أرهم منذ سنوات.»

فضحكت: «حسناً، في مؤسسة كبيرة مثل مؤسستك هذه، عليك أن توظف كثيراً من الناس دون أن تراهم.»

«طبعاً. ولكن ما أعنيه هو أن هنا أناساً هذه الليلة أعرفهم جيداً، ولكنني لا أراهم الآن إلا نادراً. مولي لين، مثلاً، ما زالت تعمل في الصحيفة لا أحد يعلم منذ متى. ولكن لا بد من أن عشر سنوات مضت منذ رأيتها آخر مرة! لقد غبت عن الأعين. هذا هو السبب. فالمؤسسة هي أكبر من أن يديرها رجل واحد.»

احتجت تقول: «إنك بذلت جهدك.»

فابتسم بجفاء: «أشكرك، يا عزيزتي. أظن هذا صحيحاً، ولكنه لم يكن جيداً بما فيه الكفاية وهذا يجعلنا نعجب كيف بإمكان كاسبيان أن يدير امبراطوريته تلك وحده، ليس فقط آلاف العمال الذين يعملون عنده، ولكن كل تلك البلدان المختلفة، كيف بإمكانه ان يبقى على اتصال بما يجري؟»

قال أحد المديرين، وهو اللورد هامبدن، وهو يضحك ساخراً: «إن لدى كاسبيان فرقة من المراقبين يعملون تحت إمرته. ويجعلونه على اطلاع دائم بكل ما يحدث. إنه يتلقى تقارير يوميه من كل شركاته. حسابات كل شركة وأرقام المبيعات، كل شيء عليه أن يعرفه، بما في ذلك المعلومات الخاصة عن الاتحادات، وتغيّر الموظفين والمشاكل المحلية، وهو يقرأها جميعاً.»

نظر السير جورج إلى حيث كان نيكولاس كاسبيان يتحدث إلى أحد مديريه، ثم قال: «إنه ليس من البشر.»

خفض اللورد هامبدن صوته متمتماً وهو يبتسم: «هل من الممكن أن يكون إنساناً آلياً؟ أحد سكان الفضاء جاء ليستولي على كوكبنا؟»

ضحك السير جورج بصوت عال: «ربما.» ثم ضاقت عيناه وهو ينظر إلى نيكولاس مرة أخرى ثم قطب جبينه: «إنه يتحدث إلى سليد الشاب منذ أكثر من نصف ساعة. ماذا يمكن أن يكون بينهما؟»

فقال اللورد هامبدن: «لا شيء جيداً، كن متأكداً من ذلك.» وإذا بزوجته تقف طالبة منه مرافقتها إلى حيث بعض الأصدقاء، فذهب معها متثاقلاً.

ألقى السير جورج على جينا نظرة جانبية، ثم همس، قائلاً: «إذهبي، يا عزيزتي، وافصلي بينهما.»

«ماذا؟»

فقال بفروغ صبر: «أبعدي كاسبيان عن سليد، وامنحيني فرصة أعرف فيها ما كان يقوله للفتى.»

إحمر وجه جينا: «وكيف أفعل ذلك؟»

«اطلبي من نيكولاس أن يعرفك إلى أحد مديري مؤسسته، ولك الحق في ذلك. وعلى كل حال، ما كان له أن يتحدث في العمل.»

ترددت جينا وهي تعض شفتها: «لا... لا يمكنني القيام بذلك.»

«بل تستطيعين.» وبدا فروغ الصبر على السير جورج. حتى الآن، هذه الليلة، استطاعت أن تبقى بعيدة عن

نيكولاس. لقد كانا جلسا، أثناء العشاء، على نفس المائدة، ولكنها كانت تجلس بعيدة عنه، ما جعلها تتجاهله دون أن تبدو غير مهذبة.

ولكنها استطاعت أن تلاحظه، من بعيد، سراً، فأدركت أنه أصبح بالغ التوتر والإرهاق في الأيام الأخيرة، هو أيضاً. وجهه شاحب وعيناه مظلمتان وفمه مطبق بشدة. لم يكن نيكولاس مستمتعاً بجو الحفلة أكثر مما كانت هي.

قال السير جورج وقد نفد صبره: «هيا، إذهبي. إنني أعرف أنك مثلي لا تحبين ذلك الرجل. ذلك الفتى سليد ورث حوالي الثمانية في المئة من الأسهم من أبيه، ولا أريد من كاسبيان أن يفاوضه في شرائها منه. لحسن الحظ أن أملاكه ما زالت محجوزاً عليها قانونياً حيث انه لم يبلغ سن الرشد بعد، وهكذا ليس بإمكانه ان يبيع الأسهم تلك.»

«لكنني ظننت انكما وضعتما في العقد انه وافق، بعد أن تبيعه أسهمك، على عدم محاولة اقتناء المزيد منها، وان عليه ان يقنع بأن يكون المدير العام.»

«لقد تقدم بكل أنواع الوعود، ولكنني اصبحت أعرف الرجل الآن، انه يريد السيطرة الكاملة، وليس تعادل الأسهم، خمسين في المئة، كما هو الحال معنا الآن، إذا كان بإمكانه ان يقنع الفتى سليد ببيعه أسهمه عندما تصبح ملكه قانونياً، فسيفعل، انا واثق من ذلك.»

نظر السير جورج إلى وجهها الشاحب، ثم تنهد: «لا تبدي كل هذا القلق يا عزيزتي، إنني سأسعى إلى أن لا يمد كاسبيان يده إلى المزيد من الشركة. أنا أعرف الفتى سليد منذ كان في المهد، وعلاقاتي كانت قوية جداً في العمل مع

أبيه وجده من قبل، فالفتى لن يبيعني إلى كاسبيان مهما كان الثمن الذي يدفعه له.»

أرغمت جينا نفسها على الابتسام: «كلا. أنا واثقة من أنه لن يفعل ذلك.» نهضت وهي تشعر بالارتجاف. تنفست بعمق ثم سارت بخطوات ثابتة إلى حيث كان نيكولاس يجلس مع فيليب سليد.

ابتسم لها فيليب سليد. كان في اوائل العشرينات من عمره، ولكنه كان يبدو أصغر من ذلك، فقد كانت ملامحه تبدو صبيانية وكذلك جسمه. كان نحيفاً ناعم البشرة ذا شعر بني ناعم وعينين زرقاوين متألقتين جذابتين. لكن فمه كان ينبىء عن ضعف في الشخصية، كما لاحظت جينا وهي ترد له ابتسامته.

سألته: «هل أنت مسرور في الحفلة؟ وأنت... يا سيد كاسبيان؟»

لمس كاسبيان اللهجة المتكلفة في صوتها، فرمقها ساخراً، قائلاً وهو يلوي شفتيه: «ليس تماماً، يا سيدة تيريل.» ونهض واقفاً، مادّاً لها يده وهو يتابع قائلاً: «هل لي أن أحظى بسرور اصطحابك إلى حيث نشرب شيئاً؟»

وإذ كانت تشعر بعيني السير جورج عليها تراقبانها برضى، قبلت السير معه.

أخذت أنغام الموسيقى تتجاوب في أنحاء القاعة هادئة عذبة شاعرية. كان الرجال في ملابس السهرة السوداء، بينما النساء في اثوابهن المخملية والحريرية الهفهافة. وفي طريقها لمحت هيزل في ثوب وردي، جالسة مع بييت وهذا ينحني ينظر في عينيها. وابتسمت جينا.

حسنا، هذا تطور سريع. هذا الصباح فقط كانت هيزل وبييت يتنابذان بالألفاظ كالعادة. ولكن نظرة منها إلى وجه هيزل المتورد ادركت منها أن ثمة شيئاً حدث بينهما في الساعة أو الساعتين الأخيرتين.

كان بييت يهمس لهيزل قائلاً برقة: «ما أجمل ثوبك هذا.»

فابتسمت قائلة: «شكراً.»

سألها: «متى يمكننا مغادرة الحفلة.»

«لم يحن الوقت بعد.»

كانت جينا تنظر إليهما بنصف ابتسامة، متلهفة إلى الانفراد بهيزل وسماع كل شيء عن هذا الأمر. ثم شعرت بعيني نيكولاس تنظران إليها.

سألها: «لماذا ابتسامة الموناليزا هذه؟ اتخططين شيئاً.»

رفعت إليه عينين متسعتين: «كلا، بالطبع، ألديك جنون العظمة؟»

ابتسم باختصار: «ربما. لقد أرسلك السير جورج إليّ لإلهائي، بالطبع.»

فقالت: «رأى أن الوقت حان لكي تقوم بواجب الضيافة نحوي.»

«ألم يكن يحاول أن يجعلني أكفّ عن التحدث مع فيليب سليد؟»

تساءلت، كيف يمكنه دوماً أن يتكهن بما يفكر به الآخرون؟ وتوترت شفتاها. أهو المقدرة على وضع نفسه مكان الآخرين؟ مهما كان السبب فقد أزعجها وأخافها.

رأته ينظر في مرآة أمامه بابتسامة ملتوية فنظرت بدورها وإذا بها ترى أنه يحدق إلى السير جورج وهو يتحدث مع فيليب سليد.

ارتجفت، تعثرت في طريقها، فنظر نيكولاس إليها فتشابكت نظراتهما. أخذ يحدق في أعماق عينيها، فدار رأسها.

قال هامساً: «لا يمكنني الاستمرار بهذا الشكل.»

«هل نجلس إذن؟» وحاولت أن تتجه نحو مائدة جانبية ولكنه شدها إليه: «إنك تعلمين ما أعني.»

«إخفض صوتك.»

فعاد يهمس بصوت ضارع: «جينا.»

كان لا يبالي بمن قد يسمع وهو يتابع قائلاً: «يجب أن احصل عليك. طوال حياتي وأنا أطارد شيئاً ما. هكذا خُلقت. هذه الشركة، وتلك...»

فقالت غاضبة: «هذا كل ما يهمك.»

«كان هذا فيما مضى. فأنا أعرف جيداً مقدار الألم الذي تحدثه في النفس الرغبة في شيء لا يمكن الوصول إليه. سأخبرك يوماً ما، بالسبب. لقد نشأت في مدرسة داخلية صارمة في نظامها، يا جينا. ما علمني بأن أكون متشبثاً بما أريد، وأبقى كذلك إلى أن أحصل عليه. ولكنني لم أشعر قط بالرغبة في الحصول على شركة ما، بنفس القوة التي أشعر فيها نحوك.»

«هل هذا مديح؟ إنك تتحدث عني وكأنني شيء للتملك أو الشراء.»

«تفكيري فيك ليس من هذا النوع. إنني، منذ أسابيع، لا

استطيع النوم أو التفكير أو العمل، ولا أحتمل الاستمرار في العيش بهذا الشكل. ذلك يجعلني قاسياً عنيفاً.»

همست قائلة: «إنك تخيفني.»

كان يتحدث بصوت منخفض لا يكاد يُسمع: «لا أريد أن اخيفك. لكن الحياة أقصر من أن نضيّعها، فلا تكوني جبانة، يا جينا. إن الزمن لن يتوقف لأجلك، فانتهزي فرص السعادة حالما تسنح لك، ممّ تخافين؟ كل ما أريده هو أن أحبك وأعلمك أن تحبيني.»

كانت عيناها مغرورقتين بدموع لم تُذرف. ثم قالت وهي تنهد: «أتمنى لو أصدقك.»

«يمكنك ذلك.»

«آه... يا نيكولاس.»

شعرت بنفسها تنهار من الأعماق. منذ أسابيع وهي تتلهف شوقاً إليه، إلى التوقف عن صده وصد مشاعرها. وفي هذه اللحظة، تملكها شعور بأن لا شيء في العالم ذو أهمية سوى نيكولاس، وحبها له هو أقوى شيء في حياتها.

عاد ينظر إليها بعينين عنيفتين متألقتين. ولم تستطع هي احتمال نظراته تلك، فأشاحت بوجهها وهي تتأوه من الأعماق.

قال متنفساً بعنف: «متى يمكننا الخروج من هنا؟ متى يمكننا الاعتذار والخروج؟» أخذ يسألها ذلك بإلحاح وهما يسيران متجهين إلى حيث كان السير جورج يقف بجانب المائدة ينظر إليهما، متوتر الفك. منخفض الرأس كثور على وشك ان ينطح.

فقالت وقد تملكها القلق من الطريقة التي كان يقف فيها الرجل العجوز: «لن نستطيع. إن السير جورج يتوقع منا أن نبقى إلى أن يخرج آخر شخص. هذه هي عادته.»

فقال وقد بدا في عينيه تألق الانتصار: «فليكن. فأنا بحاجة إليك أكثر منه.»

خفق قلبها حباً وتمرداً. الحق معه... الحياة أقصر من أن نضيّعها.

تمتمت تقول مترددة: «حسناً... ربما...»

سكتا، هما الاثنين، عندما وصلا إلى المائدة ورأيا ما ارتسم على ملامح السير جورج، شهقت جينا بصوت مرتجف. لماذا يبدو الرجل العجوز بهذا الشكل؟ وتلاشت ابتسامة نيكولاس وحل مكانها الحذر.

حدّق الرجل العجوز إليه وهو يتنفس بصوت مسموع: «أيها الماكر المراوغ. كان عليّ أن أعلم أنك سوف تخدعني بشكل ما. لو كنت أعلم أن الوصية قد نفذت الآن، لكنت اشتريت من الفتى سليد أسهمه، ولكنه لم يخبرني قط أنه بحاجة ماسة إلى المال. كما أننا، أنا وأنت، قد عقدنا اتفاقاً، تباً لك! لقد اقسمت أنت أن لا تحاول شراء أسهم أخرى إذا أنا وافقت على اعطائك ما يكفي للمشاركة في السيطرة ولكنك كنت تكذب فذهبت من وراء ظهري... أليس كذلك؟ وعندما تصبح لديك الأكثرية من الاسهم، تتم لك السيطرة الكاملة على سنتنال و...»

سكت فجأة لا يستطيع النطق بكلمة أخرى، كما يبدو إذ أخذ يدمدم بصوت مختنق وقد اظلم وجهه وجحظت عيناه.

اندفعت جينا نحوه بلهفة تحيطه بذراعها: «سير

جورج...» ولكنه دفعها عنه، وأشار إلى نيكولاس متهماً، وهو يحملق فيه: «دوماً كنت تريد السيطرة المطلقة، أليس كذلك؟»

فقال نيكولاس باسماً: «ان لديّ اسبابي لذلك.» رمقته جينا بنظرة عنيفة، وقد شحب وجهها، لقد اعترف بذلك ببالغ الهدوء دون اهتمام برأي الرجل العجوز فيه... أو آراء الآخرين.

التفت نيكولاس إليها فبادلته النظرات شاحبة الوجه، وهمست: «ليس لديك ضمير، ولا أخلاق، ولا قلب.»

«لا تكوني غبية يا جينا، لقد فعلت ذلك لأجلك.»

فثار ثائرها: «لأجلي؟ لأجلي أيها الكذاب؟» انفجرت بهذا القول وهي ترتجف كرهاً.

قال السير جورج بصوت أبح: «جينا، ماذا يعني بقوله انه فعل ذلك لأجلك؟ ما الذي يحدث بينكما؟ وما هو دورك في كل هذا؟ انك لم تخبريني بأنك... بأنك أنت وهو؟» سكت فجأة وهو يشخر بشكل غريب وكأنه لا يستطيع التنفس.

أخذت تهتف بلهفة: «ما بك؟ هل أنت مريض؟» ولكنه لم يجب.

أمسك بصدره، وانحنى متشنجاً، وما زال يصدر ذلك الصوت المريع، حاولت أن تمسك به وهو يسقط ببطء، منهاراً على ركبتيه، ولكن بعد فوات الأوان، لأن الرجل العجوز استلقى على أرض القاعة مغمض العينين، أزرق الشفتين وقد استحال تنفسه إلى شخير، جلست بجانبه، والدموع تنهمر من عينيها، تمسك بيده، تجمع كل شخص حوله وأخذوا يحدّقون إليه متهامسين، بينما أخذ نيكولاس

يزعق موزعاً أوامره طالباً اخلاء القاعة، ومرسلاً بعض الأشخاص ليطلب الاسعاف بسرعة، كما طلب بطانية من إدارة الفندق.

سمعت صوته يقول من بعيد: «يجب إبقاؤه دافئاً.»

لم تستطع تحويل نظراتها عن وجه الرجل العجوز المغضن المرهق، أخذت تتحسس نبضه في معصمه النحيل الأزرق، ولكنها لم تجده، رغم سماعها شهيقه يدخل ويخرج من رئتيه بشكل مؤلم.

«ماذا علينا أن نفعل؟» ألقت بهذا السؤال بقنوط بالغ، شاعرة بالعجز، وفي تلك اللحظة توقف شهيق السير جورج أخذت جينا تحدق إلى وجهه الشاحب بذعر. «أرجوك، لا تمت... أرجوك لا... لا تموت الآن...»

جثى نيكولاس بجانبها، دافعاً إياها بخشونة من طريقه، اخذت تنظر إليه بارتباك وهو يفك ربطة عنق الرجل العجوز، ثم يشق قميصه حتى الخصر.

شهقت: «ماذا تفعل؟» ولكن نيكولاس لم يهتم بها، وهو يخلع سترته ويفك ربطة عنقه، كان الأمر بالنسبة إليها، أشبه بالكابوس، لم يكن لديها فكرة واضحة عما يحدث.

وما لبثت ان أدركت بشكل مبهم، انه يعطي السير جورج تنفساً اصطناعياً وهو يجثو بجانبه وعضلاته تكاد تشق قميصه، وهو يقوم بالمهمة نحو الرجل العجوز حتى أخذ العرق ينضح من وجهه، كانت تسمع تنفس نيكولاس الآن وهو ينفخ في فم الرجل العجوز، ولم تستطع هي شيئاً سوى الوقوف والنظر شاحبة الوجه مظلمة العينين.

انفتح باب القاعة الواسع واندفع منه رجال الاسعاف راكضين، ولكن الدكتور كان أول من وصل إلى السير جورج، وكان شاباً نحيلاً شاحب الوجه، فدفع نيكولاس جانباً، دون كلمة، وأخذ يفحص السير جورج، وقف نيكولاس وذراعاه منسدلتان على جانبيه، وشعره أشعث.

أخذت جينا تقول ضارعة: «انه ليس ميتاً... قل انه ليس ميتاً.»

قال الطبيب من فوق كتفه: «أخرجوها من الغرفة.» ثم اخذ الآلات لاسعاف القلب وابتدأ بالعمل محاولاً تنظيم نبض الرجل العجوز. «كلا. أريد ان أبقى.» صرخت جينا بذلك بحزم، لا تريد أن تترك الرجل العجوز بين أيدي الغرباء.

ولكن الطبيب قال: «آسف، ولكنني لا استطيع العمل بين متفرجين، يجب أن تخرجي.»

قال نيكولاس بهدوء، واضعاً ذراعه حولها لكي يخرجها: «هيا بنا، يا جينا.»

فقالت وهي تضربه بيدها: «ابتعد عني.»

«انك تعرقلين عملهم هنا.»

«ان مكاني بجانبه! سيكون بحاجة إليّ إذا... عندما...»

لم تستطع إنهاء تلك الجملة، فقد اختنقت بالدموع، لم تستطع ان تصدق أن الرجل العجوز قد يكون رحل... لم تستطع أن تصدق ذلك.

وضع نيكولاس يده تحت ركبتيها، وقبل أن تتمكن من منعه، كان قد حملها دون كلمة أخرى، متجاهلاً مقاومتها ثم خرج بها من القاعة.

كان في الردهة كثير من موظفي سنتنال، البعض يقف

جماعات والبعض يجلس على الأرائك والكراسي، يتكلمون بهدوء مع بعضهم بعضاً، وأعينهم على باب القاعة، سكت الجميع عندما خرج نيكولاس وجينا، وأخذوا ينظرون إليهما، كان بييت وهيزل الأقرب إليهما، إذ كانا بجانب الباب، وقد بدا الشحوب واللهفة على وجهيهما.

ترك نيكولاس جينا تنزلق إلى الأرض، وما زالت ذراعه حولها تسندها وهي تترنح في حركاتها شاعرة بالدوار.

دفعت يده عنها، وإذ رأت هيزل وبييت ركضت إليهما أشبه بحيوان مذعور وهي تشهق: «الرجل العجوز... اظنه يموت...»

وضعت هيزل ذراعها حولها.

«انهم يقومون بعملهم على أكمل وجه، هذه الأيام وقد جاؤوا بسرعة خارقة، انني واثقة من أنهم...» وتلاشى صوتها بيأس، ونظرت إلى بييت من فوق رأس جينا، فأومأ هذا اليها يطمئنها. ثم قال: «الافضل ان تجلسي، هيا يا جينا، اجلسي هنا، يا عزيزتي، ان هذا يجعلك تشعرين بتحسن، سأحضر لك شراباً منعشاً، انك بحاجة إلى شيء من الشجاعة الهولندية...» وابتسم لها: «ان هيزل ستبقى معك لتعتني بك.»

غاب برهة ثم عاد بعد لحظة بكوب أصر على جينا بأن تشربه، ورغم محاولتها إبعاده عنها إلا أنها ازدردت بضع جرعات، ثم اهتز الكوب في يدها وهي ترى باب القاعة ينفتح، لم تحتمل النظر، لأنها كانت تعلم، لقد علمت ذلك قبل أن تغادر القاعة، علمت ذلك عندما توقف السير جورج

عن التنفس نهائياً، ولكنها لم تشأ ان تصدق ما كانت علمت. لم تكن مستعدة لتقبل ذلك بعد، كانت تحاول الإدعاء أن هذا لم يحدث.

سمعت الطبيب يتحدث إلى نيكولاس بصوت منخفض... ورجال الاسعاف يخرجون بالسير جورج من خلال باب الردهة، بينما وقف جميع موظفي سنتنال ينظرون، وقد سادهم صمت مخيف.

جاء نيكولاس وقال بهدوء: «اظن عليّ أن اوصلك إلى البيت، الآن، فلا فائدة لك من الذهاب معه، إنني آسف يا جينا... آسف جداً...»

رفعت رأسها وقد بدا عليها الإنهاك، بينما أبقت هيزل ذراعها حولها وكأنها خائفة من أن تقع أرضاً إذا هي تركتها وحدها.

تقابلت عينا جينا بعيني نيكولاس، وقد بدا أنه أصبح بينهما بحر لا نهاية له الآن، جسور لا يمكن عبورها.

كان يستغلها منذ البداية وذلك في ملاحقته لأسهمها، بينما كان يبحث حوله طوال الوقت عن احتمال ان يجد طريقة أخرى يحصل فيها على ما يريد، وعندما علم أن فيليب سليد قد يبيع أسهمه، اندفع إليه في الحال ليشتريها منه، لقد كان كل اهتمامه بها هو لأجل الأسهم التي سترثها يوماً ما، كل حديثه ذاك عن الحب، أو الزواج، كان كذباً، فهي لم تكن تعني له شيئاً، ولكن وسيلة، لبلوغ ما يريد، وشعرت بالغثيان لإدراكها ذلك.

قالت تحدث نفسها بذهول وصوت مرتفع: «انه ميت.»

فقال نيكولاس: «نعم، مع الأسف.» وكان ينظر إليها بإمعان. كانت تعلم كم هو ذكي، أدركت ان عقله كان يعمل بسرعة، محاولاً ان يتكهن بما ستهم به، أو ماذا ستفعل، قالت بصوت ضعيف: «لم يكن سيموت، ولكنه قتل.»

تصاعدت الشهقات حولها.

فقال نيكولاس: «انك مصدومة، يا جينا.» قال ذلك وعيناه الفتاكتان تحاولان إبداء العطف والاهتمام، ولكنها الآن تعرفه جيداً، تعرف كم كان اهتمامه بها زائفاً طوال الوقت، ربما بدا ذلك صحيحاً امام كل هؤلاء الذين كانوا ينظرون ويستمعون، أمام كل من لم يعرفه كما عرفته هي.

قال بذلك الصوت الهادىء الرقيق النبرات: «لقد كان ذلك صدمة مريعة لنا جميعاً، ولكنها بالنسبة إليك كانت أعنف وأقسى. لقد أوصى الطبيب بإعطائك مهدئاً، وهو يقترح بأن تذهبي إلى فراشك وتحاولي ان تنامي، انني سآخذك الآن إلى البيت.»

أرادت ان تصرخ به، كذاب... كذاب. ولكنها قالت بصوت هادىء شارد كان أسوأ لاحتوائه على ما تشعر به من كراهية، قالت: «لا أريدك ان تفعل شيئاً لأجلي، ويكفي ما فعلته... انك قتلته.»

شهق الناس مرة أخرى واستدارت أعينهم، كانوا جميعون يصغون إلى كل كلمة تقال، ولكن جينا لم تهتم لذلك، كانت كراهيتها لنيكولاس بالغة الحدة.

لقد قتل الرجل العجوز، لقد أذلها، خدعها، خانها، ولكن إذا كان يظن أنه سيفلت من العقاب، فهو مخطىء، لا بد من أن تجد ما تعاقبه به.

قالت: «لن أصفح عنك أبداً، ولا أريد رؤيتك بعد الآن.»

لم يتحرك نيكولاس، بل وقف جامداً، ووجهه خال من أي تعبير.

لم يعد لديها شيء آخر تقوله، لقد قالت كل شيء، وأخذت تسير مترنحة نحو مدخل الفندق، عليها أن تبتعد... تبتعد عن تلك الأعين الفضولية المحدّقة إليها، ولكن كان المكان الوحيد الذي يمكنها الذهاب إليه، هو ذلك المنزل الخالي.

تمتم بييت يقول لهيزل: «يجب أن نذهب معها لنأخذها إلى بيتها.»

كانت هيزل بالغة الشحوب:«نعم، لا يمكن أن تترك وحدها، سأبقى الليلة معها، ولكن سيارة السير جورج لن تكون هنا قبل منتصف الليل، حسب ما كان أمر السائق به، لا أدري إذا كنا سنجد تاكسي في الخارج، أم علينا ان نطلب من موظف الاستقبال أن يطلب لنا واحدة هاتفياً.»

فقال بييت: «كلا، ان سيارتي في الموقف، سأركض لإحضارها بينما تنتظرينني أنت معها عند مدخل الفندق، إنني لن أتأخر اكثر من دقيقتين يا عزيزتي.»

انطلق مسرعاً بينما ذهبت هيزل إلى جينا التي كانت واقفة على الرصيف تنظر حولها بذهول، فقالت لها هيزل برقة فائقة: «ان بييت سيحضر سيارته، هل ننتظر في الداخل حيث الدفء؟ ان عليك ان تحضري معطفك من غرفة المعاطف، فالليلة شديدة البرودة.»

لم يبد على جينا أنها سمعتها، فقد كانت تحاول أن تفكر، بأن حياتها تغيرت بهذا الشكل المفاجيء، بحيث ما زالت غير

مصدقة ذلك، لم تكن تستطيع التفكير أو تدبير الأمور، أو حتى تفهم ما يقال لها.

لكن شيئاً واحداً كان بالغ الوضوح في ذهنها، وهو أنها ستجد طريقة ما تجعل نيكولاس كاسبيان يدفع ثمن ما فعله بالرجل العجوز.

ونحن بدورنا لن نفوت فرصة قراءة رواية معركة التملك حتى نعرف ماذا فعلت جينا بأسهمها في سنتنال.

تمـــت

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة